مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

آليَات الحِجَاج فِي كَلَامِ الإِمَامِ الحَسَنِ العَسكَرِيّ (عليه السلام)

م. سعد حسين علوان
مديرية تربية كربلاء المقدسة

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025/1/1
تاريخ القبول 2025/2/1
تاريخ النشر 2025/3/1

الكلمات الرئيسية:

الحجاج،آلياته، كلام الإمام العسكري (عليه السلام).

المستخلص باللغة العربية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، المبعوث رحمة للعالمين، محمدٍ وآله الطاهرين. أمّا بعد، يُعدّ الخطاب الحواري الحجاجي من أبرز أساليب الإقناع والتواصل، وقد حظي باهتمامٍ كبير وبالغ في الدراسات البلاغية واللسانية الحديثة، بوصفه من أدوات توجيه المتلقي والتأثير عليه، وقد تجلى هذا الفن بصوره البهيّة في خطب وأحاديث أهل بيت النبوة (عليهم السلام)، ومنهم الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، الذي ورث عن آبائه تراثاً غنياً بالمضامين العقائدية والفكرية التي استعمل فيها آليات الحجاج بوصفها وسيلة للإقناع والتفنيد. ولمّا كانت الدراسات المتخصصة في حجاجيات الإمام العسكري (عليه السلام) قليلة، رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل، مستقصيًا الآليات الحجاجية التي استثمرها الإمام (عليه السلام) في نصوصه الشفوية والكتابية، لاسيما في مكاتباته ومحاوراته، مستندًا في ذلك إلى المنهج الوصفي التحليلي القائم على الاستقراء النصي والربط بين المعطيات البلاغية والمقاصد الحجاجية.

المقدمة:

لقد احتلّت النظرية الحجاجية مكانًا بارزًا ومتميّزًا في الدراسات اللغوية والحجاجية الحديثة، إذ كان الحجاج أحد أركان النظرية التداولية التي لا يُنكر فضلها على مختلف العلوم. واستقى الغربيون والعرب أُسس دراستهم لهذه النظرية من أرسطو المؤسس الأول لنظرية الحجاج؛ مما طوّر مفهوم اللغة والخطاب، وجعل اللغة تتضمّن بُنى حجاجية على نحو دائم.

تناول هذا البحث دراسة الآليات الحجاجية في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، مبينًا أهم الأساليب اللغوية والبلاغية التي اعتمدها في إقناع مخاطَبيه وترسيخ القيم العقائدية والأخلاقية، وللكشف عن مكنون خطبه (عليه السلام) اخترنا الحجاج منهجًا للدراسة؛ لما فيه من آليات نستطيع بوساطتها قراءة خطبه (عليه السلام) وتأملها، ثم بيان قدرته الفذّة المؤثّرة بالمتلقي باستعمال خطاب العقل للوصول إلى حالة الإقناع.

وقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من نظريات الحجاج الحديثة للكشف عن أدوات الحجاج وأثرها في بناء الخطاب، مع توثيق النصوص وتحليلها. وتتلخص مشكلة البحث في الكشف عن طبيعة الخطاب الحجاجي عند الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في ظل التحديات الفكرية والسياسية التي عاصرها، أمّا أهميته فتبرز في كونه يسلط الضوء على تراثٍ أقل تناولًا في الدراسات البلاغية الحديثة، مع ربطه بنظريات الحجاج في اللسانيات المعاصرة. أمّا هدف البحث، فيتجلّى في تحديد الآليات الحجاجية وتحليلها، وإبراز قيمتها التداولية، وبيان أثرها في توجيه المتلقي. أمّا منهج البحث، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي القائم على الجمع بين التحليل البلاغي والدرس اللساني الحجاجي.

قَسّمنا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ذكرت في التمهيد مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح، وآلياته، أمّا المبحث الأول فتناولت فيه وسائل الحجاج اللغوية، أمّا الثاني فجعلته لدراسة وسائل

الحجاج البلاغية، والمبحث الثالث تناولت فيه وسائل الحجاج المنطقية وشبه المنطقيّة، وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثمّ قائمة بالمصادر والمراجع التي استندت إليها.

تمهيد: مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح، وآلياته

1- مفهوم الحجاج.

الحجاج في اللغة: من حجج، فقولنا: حاجَجْتُهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَّةً فَحَجَجتُه أي غَلَبْتُهُ بالحُجَج التي أدليتُ بِهَا، والجمع حُجج، والمصدر الحجاج (ينظر: زكريا، 1979: 73/2) والحُجّةُ البرهان، وقيل: ما دوفع به الخصم، أو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة (ينظر: منظور، د.ت : 288/3).

الحجاج في الاصطلاح: استُعمل الحجاج في شتّى العلوم مثل علم النحو وعلم اللغة وعلم الحديث وعلم الأصول وعلم الفقه وعلم الكلام وغيرها من العلوم الأخرى، ولا تكاد كتب تلك العلوم أن تخلو من مصطلح الحجاج، وخاصّة في المجال الفلسفي والفكري الذي يعتريه الخلاف في وجهات النظر. فعُرّف الحجاج بأنّه: "الذي يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله"(مجمع اللغة العربية، 1983: 67)؛ إذن الحجاج "هو كلّ خطاب يهدف إلى التأثير في المتلقي عن طريق تقوية الآراء أو دحضها بحجج متنوعة"(العمري، 1990 :12)، فهو استراتيجية للإقناع ومادتها الأساسية هي اللغة، وهدفها الإفهام، ونجاح الخطاب يكمن في قدرته على الإقناع. (حشاني، 2013، صفحة 287) والحجاج ركن من أركان الدراسات التداولية، فهو "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة... وهو أيضًا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي"(عبد، 2000 : 123).

وقد نالت الدراسات الحجاجية عند الغربيين اهتمامًا كبيرًا إذ استعمل الباحثون رؤى جديدة انطلاقًا من الأسس الحجاجية عند أرسطو. (ينظر: فرحان، 2003 : 13)، فعرّفه بيرلمان بأنّه "عبارة عن تصوّر مُعيّن لقراءة الواقع إعتمادًا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب"(الأمين، 2000، :53)، ويرى بيرلمان أنّ غاية الحجاج هو جعل العقول مذعنة لما يُطرح عليها من آراء، أو على الأقل زيادة درجة الإذعان، فأقوى الحجاج عنده هو ما كانت درجة الإذعان فيه عالية لدى المتلقين بشكل يحثهم على إنجاز العمل المطلوب أو الإمساك عنه. (ينظر: صوينت، 2011: 5). فالحجاج خطاب ذو مقصد دلالي موجّه إلى العقول بأدلة وبراهين يقوم على توظيف اللغة المعبّرة؛ كي يؤثر في المتلقي ويوجهه نحو ما يريده المُرسل.

ولم يكن مفهوم الحجاج خافيًا على العلماء العرب القدامى، وإن لم يُعنَوا بهذا المصطلح صراحة، إلا أن مظاهره تتجلى في مباحث مختلفة من مؤلفاتهم، كـالجدل، والجدال، والمجادلة، والاحتجاج، والبرهان، والمناظرة، وعلم الكلام، وأصول الفقه، والخطابة، وحتى في النحو، فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) كان يمارس الحجاج في تحليله وعرضه للقضايا اللغوية وذكر الحجة في بعض تعليلاته، ومنه ما ورد في تعليله ترتيب الحروف حسب مخارجها : "فلم يمكنه أن يبتدأ التأليف من أول أ، ب، ت، ث، وهو الألف، لأنّ الألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني – وهو الباء – إلّا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبّر ونظر إلى الحروف كلّها وذاقها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق...فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتّى أتي على آخرها وهو الميم" (الفراهيدي، د.ت: 1/ 47)، ونجد في كتاب سيبويه (ت180هـ) إشارات تُمثّل جوهر الحجاج، إذ استعمل الأساليب اللغوية لإقناع المخاطبين، وبيان الصواب من القول، والردّ على الاعتراضات، كذلك استدلاله على صحة القواعد النحوية، على الرغم من عدم تحدثه عن الحجاج بمعناه التداولي أو البلاغي، وعرّفه أبو هلال العسكري (ت395هـ) بقوله: "الحجاج هو ظهور الحجّة"(العسكري، 1973: 47/1)،وعدّه ابو الوليد الباجي(ت464هـ) "من ارفع العلوم قدراً وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدال لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"(الباجي، 2000: 8)، ويرى القرطاجني(ت684هـ) أنّ الكلام "إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال" (القرطاجني، 1966: 63)، وعرّف ابن الأثير الحلبي (ت737هـ) الحجاج بأنَّه "احتجـاج المـتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده، وتوجب له الاعتـراف بمـا ادعـاه المـتكلِّم ،وإبطالِ ما اورده الخَصم .وسمّي بالمذهب الكلامي؛ لأنَّه يسلُك فيه مـذهب أهلِ الكلام في استدلالهم على الباطلِ حجج خُصومهم"(الحلبي، د.ت: 302). وأشار ابن خلدون(ت808هـ) في حديثه عن آداب المناظرة إلى الجدل بمعنى الحجاج (ينظر:خلدون، د.ت: 428- 429)،إمّا الشريف الجرجاني(ت816هـ) فيرى أنّ "الحُجّة ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد" (الجرجاني، 1983: 82/1).

أمّا مفهوم الحجاج عند المحدثين العرب فلم يختلف كثيرًا، فعدّه طه عبد الرحمن بأنّه: "انه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(الرحمن، 1998: 213)، وهو عند عبد الهادي بن ظافر الشهري "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"(الشهري، 2004: 456)، أي هو آلية تواصلية لغوية يسعى المرسل فيها إلى تحقيق غايته الإقناعية عبر اللغة الموظفة.

2- آليات الحجاج.

يُعدُّ الحِجاج من الظواهر اللغوية والبلاغية التي تبوأت مكانةً مرموقة في الدراسات اللسانية الحديثة، لما له من دور فاعل في توجيه الخطاب وإقناع المتلقي، وبناء المواقف والدفاع عنها أو دحضها. والحِجاج ـ بوصفه نشاطًا لغويًا وعقليًا ـ لا ينفكّ عن البنية التواصلية للغة، إذ يتأسّس على مقاصد المتكلم وسياق المخاطبة، فيسعى إلى التأثير في القارئ أو السامع، عبر جملة من الآليات اللغوية والأسلوبية التي تجعل الخطاب ذا قوة إقناعية وفاعلية تأثيرية (ينظر: صولة، 2011: 49).

أما الدراسات الحديثة، فقد عُنيت بتحليل الخطاب الحجاجي وتحديد آلياته اللغوية والمنطقية، متأثرةً بنظريات الحجاج الغربية، لا سيما ما قدمه كل من بيرلمان وتيتكا في (المصنف في الحجاج)، وغيرهم، ممن ركزوا على البعد التداولي للغة (ينظر: بيرلمان و لوسي أوبخرت تيتكا، 2023: 5- 12). إنّ آليات الحجاج تُفهم على أنها الوسائل والطرائق التي يُبنى بها الحجاج داخل الخطاب، من أجل التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظر معينة. وهذه الآليات تتنوع بين آليات لغوية (نحوية وصرفية ومعجمية)، وبلاغية (كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز)، وحجج عقلية ومنطقية (كالقياس، والاستدلال، والتمثيل)، فضلًا عن الآليات التداولية. وتُسهم هذه الأدوات مجتمعة في تقوية الحجّة وتعزيز فاعلية الخطاب في تحقيق أهدافه الإقناعية أو التفنيدية (ينظر:مشبال، 2017: 22- 40).

وتزداد أهمية الحجاج حين يكون الخطاب ذا بعد ديني أو عقائدي أو اجتماعي، إذ يسعى المتكلم فيه إلى تثبيت معتقد أو دحض شبهة، وهنا تبرز الحاجة إلى توظيف آليات الحجاج بدقة ووعي، لتحقيق التوازن بين البُعد المنطقي والبُعد العاطفي للخطاب. وبناءً على ما تقدم، تتجلى الحاجة إلى دراسة آليات الحجاج، بوصفها جوهرًا لبنية الخطاب الإقناعي، وسبيلاً لفهم طريقة اشتغال اللغة في مستوياتها المختلفة. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تحليل هذه الآليات، ورصد أنماطها ووظائفها، وتسليط الضوء على دورها في تحقيق المقاصد البلاغية والخطابية، بما يُسهم في توسيع آفاق الفهم النقدي للنصوص، وكشف الطاقات الحجاجية التي تختزنها اللغة العربية.

(المبحث الأول: آليات الحجاج اللغوية)

إنّ نظرية الحجاج اللغوي التي وضعها كل من أنسكومبر، وأزوالد ديكرو تهدف إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة (ينظر: حمداوي، 2014: 35)، إذ يُعَدُّ الحجاجُ اللغوي من أبرز مظاهر التفاعل الخطابي التي تستثمر قدرات اللغة في التأثير والإقناع، وهو فرع أساس من فروع الحجاج عمومًا، يتأسس على عناصر اللغة ذاتها بوصفها أدواتٍ وظيفية يُستعان بها في بناء المواقف وتوجيه الآراء، لا سيما في الخطابات التي تستهدف المتلقي في عقله أو وجدانه أو موقفه. ومن هنا فإنّ دراسة آليات الحجاج اللغوية تُعدّ من القضايا الجوهرية التي يُعوّل عليها لفهم بنية النصّ ومقاصده وآليات اشتغاله داخليًا. ويُقصد بـآليات الحجاج اللغوية تلك الوسائل التي تُستخرج من البنية اللغوية نفسها (النحوية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية) وتُوظَّف ضمن سياقات حجاجية لإقناع المتلقي أو التأثير فيه (ينظر:الشهري، 2004: 477). فهي آليات غير منفصلة عن النظام اللغوي، لكنها تتجاوز الوظيفة الإخبارية إلى وظيفة حجاجية تَبرز فيها اللغة ليس كأداةٍ للتوصيل فقط، بل كأداة للإقناع والتأثير. ويشمل ذلك ضمائر الخطاب، والتقديم والتأخير، والحذف، وأدوات الربط، والشرط، والتوكيد، والمبالغة، والتكرار، وأساليب القصر، وغيرها من الوسائل التي تكتسب دلالاتها الحجاجية من السياق التداولي للنص.

وقد نبّهت الدراسات البلاغية القديمة ـ وإنْ لم تُسمِّ هذه الظاهرة باسمها الحديث ـ إلى كثير من هذه الآليات، فأبرزت أهمية التقديم والتأخير في إثارة الانتباه، والتوكيد في تثبيت المعنى، والقصر في الحصر والتخصيص، كما اعتنى علماء النحو والبلاغة بمواقع الضمائر وصيغ الأفعال ودورها في بناء المعنى وتقويته. أما في الدراسات اللسانية الحديثة، فقد أُعيد النظر في اللغة بوصفها أداة تداولية حجاجية، لا محايدة، بل موجّهة نحو غايات تواصلية قائمة على التأثير في المتلقي، كما نجد عند بيرلمان، ودوكرو، ومشبال.

ولا يمكن دراسة الخطاب الحجاجي المعاصر في مجالاته المتعددة (السياسية، الدينية، الاجتماعية، العلمية) دون الوقوف على هذه الآليات اللغوية التي تُعدّ البنية الصلبة لبناء الحجة، إذ إنّ المتكلم لا يقتصر على مضمون الحجّة فحسب، بل يعمل على ترتيب عباراته وصياغتها بحيث تخدم أهدافه في التوجيه والإقناع والتأثير، وقد يتقن توظيف أداة نحوية واحدة لتقليب المعنى بحسب الموقف والمخاطَب.

من هنا، فإن هذا المبحث يسعى إلى تسليط الضوء على أبرز آليات الحجاج اللغوية، وتحليل وظائفها في الخطاب، وبيان كيفية تفعيلها في السياقات المختلفة، مع الإشارة إلى التكامل بين المستويات اللغوية (نحوية، صرفية، دلالية) في إنتاج الحِجاج، وذلك انطلاقًا من الوعي بأن اللغة ليست مجرد وعاء للمعاني، بل قوة فاعلة في تشكيل الرأي وصياغة المواقف.

أولًا: الروابط الحجاجية :

كان مفهوم الروابط في الدراسات السابقة مرتبطًا بالمباحث النحوية والدلالية دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية التداولية، أمّا بُعدها الحجاجي التداولي فقد ظهر مع ديكرو في صياغته للنظرية التداولية التي شكلت

جزءًا من النظرية الدلالية (ينظر:بلخير، 2005: 191)، فهي عناصر لغوية لها دور فعّال في اتّساق النصّ وانسجامه وربط أجزائه شكلًا ومضمونًا من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات، ويمكن تعريفها بأنّها عناصر لغويّة "تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكلّ قول دورًا محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة" (العزاوي، 2004: 27)، أو هي "طرق الربط بين النتيجة وحجّتها" (المبخوت، ، 1998: 375)؛ إذن هي دليل قاطع على أنّ الحجاج مؤشر في بنية اللغة نفسها (ينظر: خراف، 2010: 158)، ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لدورها التوجيهي للخطاب وفق مقاصد المتكلمين.

1- روابط التعليل الحجاجي (اللام، كي):

(اللام): ونقصد به اللام التي تنصب الفعل المضارع عند الكوفيين، أمّا البصريون فيرون أنّ الناصب للفعل المضارع بعد اللام (أن) مضمرة، واللام حرف جرّ (ينظر:علي، 1992: 114).

ومن ورود اللام رابطًا حجاجيًا مدرجًا للحجج في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كتابه إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي في نصب الوكلاء: "وَبَعدُ، فَقَد نَصَبتُ لَكُم إبرَاهِيم بن عَبدَة؛ لِيَدفعَ إِلَيهِ النَوَحِي وَأَهلُ نَاحِيَتِكَ حُقُوقِي الوَاجِبَةَ عَلَيكُم، وُجَعَلتُهُ ثِقَتِي وَأَمِنِي عِندَ مَوَالِي هُنَاكَ" (الميانجي، 1431هـ: 267/6).

وردت لام التعليل الداخلة على الفعل المضارع رابطًا حجاجيًا مدرجًا للحجج إذ دخلت على الفعل المضارع (يَدفعَ)، فجاءت الحجة وهي تنصيب إبراهيم بن عبدة؛ لغرض الوصول إلى النتيجة المرجوة من كتاب الإمام (عليه السلام) وهي دفع الموالين الحقوق الواجبة عليهم إليه؛ لأنّه ثقة الإمام (عليه السلام) وأمينه، فمن خلال الرابط الحجاجي استطاع الإمام (عليه السلام) أن يوجه الكلام نحو مبتغاه، فجاءت اللام لبيان العلّة والاختصاص والتوجيه؛ فتعيين الإمام لهذا الرجل كان من أجلكم أنتم، لا لأجل جهة أخرى، وهذه اللام حجة هدفها إقناع المتلقي بشرعية التعيين؛ لأنّها تربط الفعل (نصبتُ) بالناس الذين يتوجه إليهم الكلام وهم الجهة المنتفعة، فكأن الإمام أراد القول أن غاية هذا التعيين هو خدمتكم، فلا عذر لكم في الإعراض أو التخلف عنه، فأظهرت اللام العلاقة الغائية للفعل (نصبت)؛ وهذا يضفي على النص منطقًا إقناعيًا قويًا؛ لأنّه لا يعرض مجرد قرار إداري ، بل يُظهر حرص الإمام على رعاية حقوقهم عبر اختيار ثقة مؤتمن، وإبراز نوعًا من الشرعية لهذا التعيين لتسهيل تقبله، وسهّلت اللام على الإمام بناء خطاب سلطوي ناعم يقوم على الحجة لا على الإلزام القهري.

ومنه كتابه (عليه السلام) إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: " إنّ الله بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض ، لم يفرض ذلك عليكم لحاجةٍ منه إليكم ، بل برحمة منه ـ لا إله إلا هو ـ عليكم ، ليميز الخبيث من الطيب ، وليبتلي ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، لتتسابقوا إلى ؛ ولتتفاضل منازلكم في جنّته. ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية ، وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله..." (الميانجي، 1431هـ: 6/ 414).

وردت اللام الحجاجية في مواضع مختلفة في النص، منها:

(ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، لتتسابقوا إلى، ولتتفاضل منازلكم في جنّته)، واللام الحجاجية هي حرف اللام الذي يبيّن السبب أو الهدف من فعل ما، وتأتي غالباً بعد أدوات تبيّن معنى العلة أو الغاية، وتُرشد القارئ إلى الحجاج العقلي أو الغاية من الفعل، وفي النص أعلاه: (ليميز الخبيث من الطيب)، اللام هنا حجاجية لأنها توضح الهدف من فرض الفرائض: التمييز بين الطيب والخبيث، أي: (فرض الله الفرائض لكي يميّز الخبيث من الطيب)، (وليبتلي ما في صدوركم)، فالهدف من الفروض: ابتلاء ما في الصدور لاختبار القلوب، (وليمحص ما في قلوبكم)، تابع للمعنى السابق: الغاية هي تمحيص القلوب، و(لتتسابقوا إلى)، ولتتفاضل منازلكم في جنّته)، فهاتان اللامان توضحان الغاية العملية للمؤمنين بعد أداء الفرائض: أي الحث على السباق إلى الطاعات والتنافس في الجنة.

استعمل الإمام العسكري (عليه السلام)اللام الحجاجية لإظهار غائية التشريع، أي أنّ الفروض ليست عبثاً ولا لحاجة من الله، بل لها هدف سامٍ: الابتلاء، التمييز، السباق إلى الطاعات، التفاضل في الجنة، وهذا الأسلوب يعزز الحجاج العقلي، فالقارئ يستدل على حكمة الفرائض وعلاقتها بالغاية الأخلاقية والروحية.

فاللام الحجاجية في نص الإمام العسكري عليه السلام أظهرت العلة أو الغاية من فرض الفرائض، وربطت بين الفعل (فرض الفرائض) والنتائج المرجوة (تمحيص القلوب، السباق إلى الطاعات، التفاضل في الجنة)، وعززت الحجاج العقلي والبلاغي، لتبيين أن الشرائع ليست عبثاً، بل لها أهداف سامية.

أمّا الحرف (كي) التعليلي السببي الناصب للفعل المضارع، فلم أجد له مثالًا في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

2- روابط العطف الحجاجي (الواو، الفاء، ثمّ):

أ- الرابط الحجاجي (الواو): تعدّ الواو من روابط العطف الحجاجي، فهي "تشرك بين الأول والآخر" (سيبويه، 1988: 40/3)، أي أنّ "معناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فيهما دليل على أيهما كان الأول، نحو قولك: جاءني ز يد وعمر، ومررت بالكوفة والبصرة" (المبرد، 1994: 1/ 148)، ويؤدي هذا الرابط علاقة تتابع تجعل المرسِل يُلقي حججه بصورة متسلسلة مما يجعل المتلقي يقتنع مع كل حجة تقدّم إليه، إذ يسهم هذا الرابط في بناء هيكلية بناء الخطاب، وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب (ينظر:الشهري ع.، 2004: 272).

وقد ورد الرابط الحجاجي الواو في مواضع كثيرة في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، ومنه كتابه: "قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الأجل، وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكليم أُلبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءًا وصونًا وعلى الظلمة إلبًا وعونًا، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران" (الميانجي، 1431هـ : 260/6).

في هذا المقطع البليغ من كلام الإمام العسكري (عليه السلام) ظهرت الواو الحجاجية بوصفها أداة ربط عبّرت عن تراكم الحجج وتوكيد المعاني وتوازي الصور الحجاجية، ولها دور بارز في تعزيز البنية الحجاجية للخطاب، فهي أداة تراكم حجاجي وتوكيد دلالي فقوله (عليه السلام): ((فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الأجل...)، إذ ربطت الواو الصفات الحجاجية التي تُسند إلى أهل البيت (عليهم السلام): (ليوث، غيوث، سيف، قلم، لواء، علم...)، وهي صور متكافئة حجاجيًا، تؤدي إلى إثبات الاستحقاق القيادي والديني. وهذا التراكم لا يُفهم على أنه مجرد تعداد، بل هو تصعيد حجاجي يراد به التأثير في المخاطب وتعزيز سلطة المتكلم وهو الإمام. فكل صفة تضيف بعدًا جديدًا للقوة أو الكرم أو القيادة، بما يقوي النتيجة المراد تحقيقها، وهي أنّ أهل البيت (عليهم السلام)هم حجج الله وأئمة الحقّ.

أيضًا فإنّ الواو تُعدّ أداة توازي بلاغي واستئناف دلالي فقوله (عليه السلام): (وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم...)، جاءت الواو هنا للتوازي الحجاجي بين الأوصاف المتعددة للأسباط، هذه الصفات تحمل وظائف دينية ووجودية، وهي مشحونة بالمعنى الرمزي، فالوظيفة الحجاجية للواو هنا في التدليل على التعدد في الأدوار، والتمكين في مراتب الهداية.، وفي قوله (عليه السلام): (وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءًا وصونًا، وعلى الظلمة إلبا وعونًا)، نلحظ هنا أن الواو تربط بين شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وخصومهم، فالواو هنا ليست فقط للربط، بل للمقابلة الضمنية؛ أي أن الشيعة يدعمون أهل البيت، ويقفون ضد الظلمة. وهذا يشكل حجة مزدوجة لتعظيم الشيعة عبر ولائهم، ولذم الظلمة عبر معارضتهم. أمّا الواو في قوله (عليه السلام): (وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران) استئنافية، تشير إلى وعد مستقبلي مؤسس على مقدمات سابقة. فالحجاج في السياق كله يقود إلى هذا الختام التبشيري، والنتيجة المُراد تحقيقها، الذي تؤدي فيه الواو دور الوصل بين الجزاء والمقدمة.

ب– الرابط الحجاجي (الفاء): أشار العلماء القدامى إلى وظيفة الفاء الرابط الحجاجي، فذكره سيبويه (ت 180 هـ) في كتابه: "إن شئت أشركت بين الأول والآخر، فدخل الآخر فيما دخل فيه الأول فتقول: ما تأتيني فتحدثني، كأنّك قلت: ما تأتيني وما تحدثني" (سيبويه، 1988: 30/3)، ويعد الفاء من الروابط الحجاجية التي لها الأثر البالغ في ترتيب الحجج وربطها وانسجامها في خطاب متكامل، إذ تفصل الحجج وتقوّي كلّ حجّة منها الحجّة الأخرى، حيث تقوم بالوصل بين الحجج لتجعلها مترابطة ومتسقة غير منفصلة للوصول إلى النتيجة المقصودة وهي إقناع المتلقي (ينظر:الشهري، 2004: 272)، وهي أحد حروف العطف التي تفيد التشريك والتعقيب (ينظر:المالقي، 2002، صفحة 44)، ويربط بين مقولتين أو أكثر في إطار استراتيجية واحدة؛ من أجل نجاعة الخطاب، فله دور كبير في ترابط النص واتساق أجزائه (ينظر:الحبابشة، 2008: 61).

ومن ورود الرابط الحجاجي الفاء في كلام الإمام العسكري قوله (عليه السلام): "الوليجة: الذي يُقام دون ولي الأمر، و حدثتك نفسك عن المؤمنين: من هم في هذا الموضع؟ فهم الأئمة الذين يؤمنون علي الله، فيجيز أمانَهم" (الميانجي، 1431هـ : 287/6).

وردت الفاء الحجاجية الاستئنافية أو التفسيرية التي تقوم بوظيفة الربط الحُجاجي التفسيري، وتؤدي عدّة أدوار في بنية النص الحجاجي، منها الربط بين السؤال والجواب التفسيري، في قوله (عليه السلام): (وحدثتك نفسك عن المؤمنين: من هم في هذا الموضع؟)، ثم قال:(فهم الأئمة الذين يؤمنون على الله...)، الفاء هنا لم تأتِ لمجرد الربط النحوي، بل جاءت للدلالة على أن ما بعدها هو نتيجة تفسيرية للسؤال السابق. فهي تربط بين الاستفهام الحجاجي وبين الجواب الحجاجي، مما يكشف منطقيّة الانتقال من التساؤل إلى التقرير. وأيضًا أفادت الفاء أن الأئمة هم الذين ينطبق عليهم وصف (المؤمنين) في السياق، فهي تفسر المبهم (من هم المؤمنون؟)، وتؤكد على الحصر أو التعيين (أي: لا أحد يُؤمَن على الله غيرهم). فعملت على تقوية الحجّة وإثبات صدقيّة المقولة، فعند استعمال الإمام الفاء ليُدخل الجواب على السؤال، فإنه يعزز من ترابط الحجّة، ويُضفي على خطابه طابعًا استدلاليًا عقلانيًا

مقنعًا، مما يُعد من آليات الحجاج المعروفة في البلاغة العربية. فمع استخدام الفاء، يتمّ قصر مدلول (المؤمنين) على الأئمة، أي أن الإمام يريد أن يحصر المعنى ويوجهه حُجاجيًا لصالح بيان منزلتهم.

ج- الرابط الحجاجي (ثمّ) : هي من حروف العطف، وتفيد التشريك بين المتعاطفين، والترتيب مع التراخي والمهلة (ينظر:الرماني، 1973: 119)، أي وقوع الحدث الثاني بعد الأول بمهلة زمنية أو ذهنية، ولها أثر بالغ في ترتيب الحجج أو الجمع بين حجتين متباعدتين أو أكثر في إطار استراتيجية واحدة، لذا يمكن أن يكون الربط بين عناصر غير متجانسة (ينظر:العزاوي، 2004: 29). ومن ورود الرابط الحجاجي (ثمّ) في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، كتابه إلى بعض أصحابه يُبيّن لهم وقت صلاة الظهرين: "لا القَدَم ولَا القَدَمين، إذَا زَالتِ الشّمسُ فَقَد دخلَ وَقتُ الصلَاتينِ وَبَينَ يَديهَا سُبحةٌ وَهِي ثَمَانِ رَكَعاتٍ، فَإن شِئتَ طَوَّلتَ، وَإن شِئتَ قَصَّرت، ثُمَّ صَلِّ صَلَاةَ الظُّهرِ، فَإذا فَرَغتَ كانَ بينَ الظُّهر والعَصرِ سُبحةٌ وَهِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، إن شِئتَ طَوَّلتَ، وَإن شئتَ قَصَّرتَ، ثُمّ صَلِّ العَصرَ" (الميانجي، 1431هـ : 86/6).

برز أثر الرابط الحجاجي (ثمّ) في ترتيب الحُجج والربط بين مراحل العبادات على نحو منطقي وهادئ، إذ استعمله الإمام (عليه السلام) مرتين: (ثمّ صلاة الظهر، ثمّ صلاة العصر)، وفي كلا الموضعين، فصل الحرف (ثم) بين النافلة وبين الفريضة، لتُظهر أن النافلة ليست جزءًا ضروريًّا من الفريضة، لكّنها مرحلة تسبقها وتُمهّد لها. فالإمام يرسم خارطة زمنية وروحية، تتدرج من الزوال إلى النوافل، ثم إلى الفرائض. فالحرف (ثم) هنا يؤدي دور الرابط الترتيبي التأمّلي، لا الزمني فقط، وكأن الإمام يقول: بعدما تتهيّأ بالنافلة وتخلو بربك، انتقل لأداء الفرض بخشوع أكبر. فالخطاب لم يأتِ بصيغة الأمر المباشر بأداء الصلاة، بل قُدِّم له بمراحل اختيارية: (إن شئت طوّلت، وإن شئت قصّرت)، ثم جاءت (ثم صلِّ) بصيغة فيها لين الحُجة لا شدة الأمر، وكأن (ثم) تقول للمخاطب: بعد أن تختار بنفسك، انتقل الآن للفريضة. هذا يُظهر حِكمة الإمام (عليه السلام)في إقناع المتلقي بالعبادة حبًّا لا جبرًا.

3- روابط التعارض الحجاجي (لكن، بل):

1- (لكن): تأتي في لغة العرب بوجهين: الأول: حرف عطف معناه الاستدراك، والثاني حرف ابتداء غير عامل معناه الاستدراك (ينظر:الشريف، 1996: 922)، وشرط العاطفة: أن يكون المعطوف بها مفردًا، وأن لا تُسبق بالواو، وأن تسبق بنفي أو نهي، فإذا فقدت شرطًا من الشروط فهي استدراكية ابتدائية (ينظر:الشريف، 1996، :922). وتُعدّ من الأدوات الحجاجية التي تربط بين قولين يختلفان في درجة القوة، فتؤدي الحجة التي قبلها إلى نتيجة ما، وتؤدي الحجة التي بعدها ضدّ النتيجة الأولى (ينظر:العزاوي، 2004: 27). ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)كتابه إلى إسحاق بن محمد النيسابوري: "واعلم يقينًا يا إسحاق، أنّ من خرج من هذه الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضَلُّ سبيلًا، أنّها يا بن إسماعيل ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (الميانجي، 1431هـ : 410/6)

قام الرابط (لكن) الحجاجي، بصيغته الضمنية، بدور مهم جدًا في الربط الحجاجي، رغم عدم ظهوره كأداة صريحة في النص، بل جاءت على شكل تعارض بين قضيتين من خلال أسلوب التفسير. فأدّى الرابط وظيفة حجاجية عبر الاستدراك التصحيحي، حيث صحح الإمام المفهوم الظاهري للعمى – باعتباره عجزًا بصريًا – بمفهوم أعمق هو العمى القلبي، الذي يُفضي إلى الضلالة في الآخرة، فكان هذا الانتقال المعنوي من الأبصار إلى القلوب، هو جوهر الحجاج الذي يعتمده الإمام في هذا النص. فقوله (عليه السلام) : (أنّ من خرج من هذه الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا) تُقدِّم حُكمًا أخرويًّا مبنيًا على حال الإنسان في الدنيا. والجملة التي تليها: (أنّها يا بن إسماعيل ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)، توضح السبب أو العلّة الحقيقية لهذا (العمى)، وتُصحّح الفهم الحسي إلى فهم معنوي، فتحولت (لكن) هنا إلى أداة نقضٍ لفهم سطحي، وجاءت بصيغة تقابل دلالي بين (تعمى الأبصار) و(تعمى القلوب)، وهذا التقابل يحاكي وظيفة (لكن) في الحجاج، فهي لرفع توهّم السامع لشيءٍ معين، ثم تصحيحه بمعلومةٍ أرجح أو أدقّ.

وهنا الإمام (عليه السلام) يرفع توهّم أن العمى هو حسيٌّ بصري، ويُصحّحه بأن العمى الحقيقي قلبيٌّ معنوي. وأسست الجملة الثانية لما يُسمى بـ (الحجة الداحضة للتفسير الظاهري)، وهو نمط حجاجي يقوم على التفريق بين ظاهر القول وباطنه بـ(لكن) التفسيرية الضمنية، وينتقل الإمام من مستوى الإدراك الحسي (الأبصار) إلى مستوى الإدراك العقلي أو الباطني (القلوب)، وهو ما عزز قيمة التأويل العقلي على الحس الظاهري.

2- (بل): هي عند النحويين لنفي كلام وإثبات غيره، و"هي من الحروف الهوامل، ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني" (الرماني، 1973: 71)، فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج. ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) : "إنّ اللهَ بِمنّهِ ورحمتهِ لَمّا فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لِحاجةٍ مِنهُ إليه، بل رحمةً منه إليكم لا إله إلّا هو؛ لِيميز الخبيث من الطيّب ولِيبتليَ ما في صدوركم، ولِيمحص ما في قلوبكم، ولِتتسابقوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنّته..." (الميانجي، 1431هـ : 414/6).

في هذا النص من كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، قام الحرف (بل) بوظيفة الربط الحجاجي بأسلوب دقيق خدم المسار التفسيري والإقناعي للخطاب، وتدخل غالبًا في السياقات التصحيحية أو التفسيرية، وقد

نفت السبب الذي قد يُتوهمه المخاطَب (أن الفرض لحاجة من الله تعالى)، وأثبتت العلّة الحقيقية وهي الرحمة الإلهية، وهذا الانتقال الحجاجي يُوجّه ذهن المتلقي إلى التخلي عن التصور البشري القاصر (أن الله جلّ وعلا يحتاج للفرائض)، ويؤكد العلة الحقيقية بلغة يقينية مقنعة: (رحمةً منه إليكم). فعمل الرابط (بل) على تقوية الحجة وتغيير مسار التفكير الحجاجي؛ فبعد أن نفى الإمام (عليه السلام)العلّة الخاطئة، لا يترك الأمر معلّقًا، بل وجّه الذهن مباشرة نحو العلة الصائبة. وبهذا، يكون الحجاج نافيًا مثبتًا، وهو من أقوى الأساليب في الإقناع، لأنه يجمع بين تفنيد الافتراض الخاطئ وتثبيت البديل الصائب. إذ عمل الرابط على الانتقال التفسيري الحاسم، فهي لا تأتي لتضيف مجرد فكرة، بل لتعيد توجيه الذهن إلى الحقيقة الأعلى، إذ ينتقل بالخطاب من نفي تصور خاطئ إلى إثبات مقصد نبيل وهي الرحمة الإلهية بوصفها أصل التشريع، لا الحاجة، وهذا يعمق الفهم العقائدي والروحي، ويعزز البناء الحجاجي للقول، ويُظهر بوضوح الطابع العقلي التفسيري في خطاب الإمام (عليه السلام).

4- روابط التساوق الحجاجي (حتّى، إذا):

1- حتّى: هي من أكثر الأدوات التي أثارت الجدل عند النحاة، وهي عندهم أربعة أنواع: حرف جرّ، وناصبة للفعل لمضارع، وابتدائية غير عاملة، وعاطفة تشرك بين المعطوف والمعطوف عليه في المعنى، وهي في جميع الأوجه تدل على الغاية إمّا مباشرة أو من خلال السياق (ينظر:الشريف، 1996، صفحة 624). فالرابط الحجاجي (حتى) في الملفوظ يساعد على تقوية تيقن المتلقي بالنتيجة، بل إن العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقرعه للوصول إلى نتيجة، وهو في أثناء ذلك كلّه يقوّي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها، فحجتها التي تأتي بعدها هي الأقوى في الغالب، وتقع في أعلى السُلّم الحجاجي، وتُسند إليها المراتب الحجاجية العليا، وتكون آخر حجة يمكن أن تقدّم للنتيجة المبتغاة، أما الحجج التي تقدّمها فهي مضمرة يفهمها المخا طب ويستطيع الوصول إليها (ينظر:العزاوي، 2004: 89).

ومن ورود الرابط الحجاجي (حتّى) في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) توقيعه إلى أحمد بن داوود ومحمد بن عبد الله الطلحي في الإشارة والنصّ إلى الإمام: "وَالحَمدُ للهِ، فَمَا بَعدَ الحَقّ إلّا الضّلالُ، فلا تَخرِجَنَّ منَ البَلدةِ حتّى تَلقَى العُمريّ (رَضِي اللهُ عنهُ) بِرِضَائي عنهُ، وتُسَلّم عليه، وتعرفهُ ويعرفكَ، فَإنّهُ الطَاهرُ الأمينُ العَفِيفُ القَرِيبُ مِنّا وَإلينَا، فَكُلّ مَا يُحملُ إلينا من شَيءٍ من النوحي فَإليهِ المَسيرُ آخِرُ عُمرِه، لِيُوصِلَ ذلكَ إلينَا" (الميانجي، 1432هـ : 414/6).

قامت الأداة (حتّى) بدور الربط الحجاجي الغائي، أي أنها تربط النهي السابق بالغاية المنشودة منه، إذ لم ينهِ الإمام عن الخروج من البلدة عبثًا، بل علّل ذلك بغاية حجاجية، وهي لقاء العُمري والاعتراف به والتسليم عليه. فـ(حتى) أفادت في النصّ الغاية والشرط اللازم لتحقيق الطاعة والامتثال لأمر الإمام، وبذلك تكون أداة حجاجية تربط السبب (عدم الخروج من البلدة) بالمسبّب (لقاء العُمري والتسليم عليه). وهذه العلاقة الغائية تُضفي قوة إقناعية على الخطاب، لأنها تُظهر الحكمة والغاية من النهي، فلا يُفهم على أنه مجرّد أمر، بل هو مرتبط بثقة الإمام بالعُمري ومكانته. فـ (حتى) من أدوات الغاية أو الانتهاء، يدل على وجوب تحقق أمر قبل الانتقال إلى غيره، وهذا يقوّي بُنية الحجاج لأن الإقناع يكون من خلال بيان المقصد العقلي والتشريعي للمتلقي. إذ قام الرابط بدور الوسيط الحجاجي الذي يربط بين النهي عن الخروج، والهدف الإيماني والتنظيمي المرتبط بالإمام وعلاقته بوكلائه، مما يدعم الحُجّة ويُقنع المتلقي بطاعة هذا التوجيه.

ثانيًا: العوامل الحجاجية:

تعدّ العوامل الحجاجية من الأدوات التي لها أثر كبير في توجيه النصّ الحجاجي، فهي وسيلة لغوية تستدعي حصر الإمكانات الحجاجية المختلفة لذلك الخطاب، أو تلك القضية التي يريد المتكلم أن يبلغها للمتلقين (ينظر:الناجح، 2011: 17) ،إذ تساعد المرسل على إيصال فكرته، وتعمل على التأثير في المتلقي وتحمله على الإقناع وترك التردد والشك والإنكار. وللتمييز بني الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية نشير إلى أنّ الروابط تربط بنين قولين أو بنين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية العامة، أمّا العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية ، وتقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية للقول الواحد داخل الخطاب (ينظر: صادق، 2013: 102)، فهي إلى حدّ ما تضيّق وجهات النظر بين المتكلم والمخاطب مما يجنبها المجادلة فيما بينهما، بمعنى توجيه الكلام نحو نتيجة معيّنة والحدّ من عدد النتائج بالإضافة إلى كونه يرتقي بالملفوظ من الوظيفة الإبلاغية إلى الحجاجية على وفق أساليب مثل : الحصر، والتوكيد، والاستثناء، والشرط، فهي تمثل العماد في عملية التواصل؛ لأنّها تعدّ من الأساسيات التي تقوم عليها عملية التخاطب (المبخوت، 1998، صفحة 63). فعلى مرسل الخطاب معرفة العوامل الأسلوبية واللغوية واستعمالها والمواضع المثلى لذلك الاستعمال؛ ليتحقق له النجاح الحجاجي (ينظر:الطلبة، 2008: 196). ومن العوامل الحجاجية التي وردت في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

1- عاملية التوكيد: التوكيد "لفظ يُراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عن الحديث، أو المتحدث عنه" (عصفور، 1972: 316)، أو "هو تثبيت الشيء في النفس وتقوية أمره" (المخزومي، د.ت: 252). والتوكيد في الحجاج هو تعزيز الحجة بدعائم لغوية تزيد من درجة الإقناع، وتقلل من مساحة الشك عند المتلقي، باستعمال أدوات لفظية أو تركيبية تؤدي إلى تقوية التصور أو التصديق. فهو يوقظ المتلقي، ويشعره بجديّة الخطاب، فيتحول من حالة التلقي السلبي إلى التفاعل الإيجابي النشط، والمتكلم الموقن بحجته يستخدم التوكيد للدلالة على يقينه وعدم تردده.

أ- التوكيد بـ (إنّ): وهي تؤكد الجملة الإسمية، وتدخل على المبتدأ والخبر، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر (ينظر:المالقي، 2002: 198- 199). وقد ورد التوكيد بها في مواضع كثيرة من كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، منها كتابه إلى محمد بن الحسن بن ميمون في معالجة وجع العين: "أردتُ أن أصِفَ لَكَ كُحلًا، عَلَيكَ بِصَبرٍ مَعَ الإِثمَدِ كافُورًا وَتُوتيَاءَ، فَإِنّهُ يَجلُوا مَا فيهَا منَ الغِشَاءِ وَيُيبِسُ الرُطوبَة" (الميانجي، 1431هـ: 6/ 403).

قوله (عليه السلام): (فإنه يجلو...): الفاء سببية، و(إنَّ) مؤكدة للضمير الهاء، أي: (إن الكحل المذكور يجلو...)، استعمل الإمام (إنَّ) لتأكيد النتيجة العلمية، وهي أن هذا الكحل يجلو الغشاء وييبس الرطوبة. وهذه تقوية للادعاء الطبي، فلا يُقدَّم كاحتمال، بل هو حقيقة مؤكدة، ولإزالة الشك أو الاعتراض، فربما يشكّ السامع في فاعلية هذا العلاج أو يرى أنه بديل غير مألوف، فاستعمل الإمام (إنَّ) ليدفع هذا الشك ضمنًا، إذ عزز الإقناع حين قدّم القول المؤكد بـ(إنَّ)، فيشعر المتلقّي أن المتكلم واثق من حجته، وهذا يوَلِّد الثقة عند السامع أيضًا، ويعزز التأثير النفسي للحجة، ويؤدي إلى التكامل البناء الحِجاجي، إذ بدأ الإمام تمهيدًا بالفعل (أردتُ أن أصفَ)، ثم أعطى الوصفة، ثم جاء بالتوكيد النهائي عبر (فإنه)، وهذا تدرج حِجاجي محكم: (نية الإرشاد ← تقديم الحل ← تأكيد النتيجة). وأيضًا اقتران (إن) بـ(فاء السببية) يُفيد أنَّ ما قبلها (وصف الكحل) سببٌ في تحقق ما بعدها (إزالة الغشاء والرطوبة)، وهذا يعزّز الربط السببي الحِجاجي. وهذ كلّه أدّى إلى تقوية اليقين بالنتيجة الطبية للوصفة، ودفع التردد أو الشك المحتمل عند المتلقي.

ب- التوكيد بـ (قد): وهي من الحروف الهوامل التي تدخل على الأفعال، وتفيد التأكيد (ينظر:الرماني، 1973، :95). ولها دور كبير في تبيان الحجج وتوكيدها للمتلقي.

ومن ورود الحرف (قد) في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) منها كتابه إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري: "سترنا الله وإيّاك بستره ، وتولاّك في جميع أمورك بصنعه ، قد فهمت كتابك يرحمك الله ، ونحن بحمد الله ونعمته ، أهل بيت نرق على أوليائنا، ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم ، وفضله لديهم ، ونعتدّ بكل نعمة ينعمها الله عزّ وجلّ عليهم" (الميانجي، 1431هـ : 6/ 409) .

في قول الإمام (عليه السلام) :(قد فهمتُ كتابَك يرحمك الله)، عمل الحرف (قد) وظيفة حجاجية مهمّة، فهي تدل على التحقّق واليقين بالفعل، أي: فهمتُ كتابك فهمًا تامًا ومؤكدًا. ومجيء(قد) يهدف إلى تعزيز مصداقية الفهم لدى المتلقي، أي أن الإمام يُطمئن صاحبه ويؤكد له أن كتابه وصل، وأن فحواه قد فُهمت فهمًا لا لبس فيه. وهذه تقنية حجاجية مهمة، لأنها تسدّ أي باب للشك، وتؤسس لثقة الطرف الآخر بأن كلامه لم يُهمَل أو يُؤوَّل تأويلًا خاطئًا.

وهذا التأكيد ليس غرضًا مستقلًا، بل يأتي تمهيدًا لما سيُبنى عليه من عاطفة ومحبة وولاء، في بقية الفقرة، حيث يقول(عليه السلام) ونحن بحمد الله ونعمته، أهل بيت نرقّ على أوليائنا...)، أي أن الفهم الذي أكّده الحرف (قد) أسّسَ للردّ المشبع بالعاطفة والرضا تجاه المخاطَب. وفي السياق، عمل الحرف (قد) كأداة تعزيز عاطفي حجاجي أيضًا، حيث يُشعر المتلقي بأن كلامه له قيمة وتأثير، مما يزيد من قوة الرابط النفسي والمعنوي بين الإمام والمخاطَب، وعزّز ثقة المخاطب بردّه، ومهّد لبناء خطابٍ حجاجيٍّ مشحونٍ بالعاطفة والتثمين والولاء للإمام (عليه السلام)، وهذه من أهم آليات الحجاج في الخطاب الديني والروحي.

ج- التوكيد بـ (نون التوكيد): ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى أبي الخير صالح بن حماد في غسل شهر رمضان: "إن استَطَعتَ أن تغتسلَ ليلة سبعةَ عشر وليلة تسعة عشر وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين فافعل، فإنّ فيها تُرجى ليلة القدر، فإن لم تقدِر على إحيائها فلا يفوتَنَّكَ إحياءُ ليلةُ ثلاث وعشرين، تُصلّي فيها مِئةَ ركعة، تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللهُ أحدٌ عشرُ مراتٍ"(الميانجي، 1431هـ: 6/ 318).

(يفوتنَّكَ) فعل مضارع مسبوق بـ(لا) الناهية، متصل بـ نون التوكيد الثقيلة، مبني على الفتح في محل جزم. ونون التوكيد الثقيلة تفيد التحقيق والتقوية في الفعل، أي تجعل الطلب أو النهي أو الأمر مؤكدًا غاية التأكيد، لا مجال فيه للتهاون، وهي من أقوى أدوات توكيد القول في العربية، وتشي بلهجة جازمة حاسمة.

وفي قوله (ع): (فلا يفوتنَّكَ إحياءُ ليلة ثلاث وعشرين)، تؤدي نون التوكيد وظيفة حجاجية أساسية، لأنها:

فهي تعزّز الإلزام الحِجاجي، فنون التوكيد تجعل الخطاب أكثر قوّة وإلزامًا، فيتحول من مجرد نصيحة إلى أمر مؤكد الحُجّة، وهي تُقنع السامع بأنّ الأمر لا يحتمل التهاون، مما يزيد من قوّة الحجّة الدينية في حضّ المؤمن على إحياء ليلة القدر، أي أن الإمام لا يكتفي ببيان الفضل، بل يؤكّد الفعل بأسلوبٍ لغويّ يفرض الالتزام.

كما أنّ نون التوكيد رسخت القيم الدينية، فتوكيد الفعل يُبرز أن ترك إحياء الليلة خسارة عظيمة، فكأنه يقول: إياك أن تفوّت هذا الخير المؤكد. وبذلك يتّخذ الإمام الوسيلة النحوية (التوكيد) لتقوية الحجّة الوجدانية، وإثارة الباعث النفسي عند المتلقي، فالتوكيد الثقيل يُحدث في النفس إحساسًا بالمسؤولية والخوف من التفريط، فيدعم الحجة بالعاطفة والدافع العملي.

أي أن الإمام وظّف نون التوكيد لتوجيه السلوك الديني عبر الإقناع اللغوي، لا بالإكراه، وقام بتحويل النص من الإرشاد إلى الإلزام المعنوي، وقبل هذه الجملة، الخطاب كان فيه تدرّج:

(إن استطعت فافعل... فإن لم تقدر...) وهو أسلوب ترغيب، ثم فجأة ينتقل إلى (فلا يفوتنّك) وهو أسلوب توكيد إلزامي، أي ينتقل من النصح إلى التأكيد الحجاجي، لإبراز أهمية ليلةٍ مخصوصة (ليلة 23من شهر رمضان) وهذا الانتقال في الدرجة الخطابية هو عنصر حجاجي بلاغي دقيق يُظهر براعة الإمام في ترتيب الحُجج

إذن، نون التوكيد الثقيلة في قوله (ع): (لا يفوتنَّك) تحوّل الخطاب من مجرد ترغيب إلى إلزام معنوي، تؤدي وظيفة تعليلية ضمنية: أي لأن هذه الليلة أرجى الليالي، فلا ينبغي التفريط فيها، وهي تمثّل استراتيجية حجاجية لغوية تقوم على التوكيد الحازم بدل الحجة المباشرة.

د- التوكيد بالقسم: ومن وروده في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابة إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري :"وأنا أقول : الحمد لله أفضل ما حمده حامد إلى أبد الأبد، بما منّ الله عليك من رحمته ، ونجّاك من الهلكة ، وسهّل سبيلك على العقبة ، وأيم الله أنّها لعقبة كؤود ، شديد أمرها ، صعب مسلكها ، عظيم بلاؤها ، قديم في الزبر الأولى ذكرها" (الميانجي، 1431هـ : 6/ 410).

ورد القسم في هذا الموضع (وأيمُ الله) أداة تعزيز وتوكيد حجاجي قوي، وله عدة أدوار بلاغية حجاجية، منها تقوية الدعوى وترسيخ اليقين، فالقسم جاء لتأكيد حقيقة وصف العقبة التي يشير إليها الإمام، وهي هنا مجاز عن الطريق الأخروي الصعب، أو العقبات النفسية والسلوكية والدينية التي تواجه المؤمن في طريق النجاة. فأضفى القسم على الكلام صبغة جازمة غير قابلة للجدل، إذ يصبح مضمون الجملة التالية له بمثابة حقيقة يقينية لا تحتمل التشكيك، بتحريك وجدان المخاطب، عندما قسَم الإمام بـ(الله تعالى)، فهو يستثير وجدان المخاطَب، ويلفت انتباهه إلى أهمية ما يُقال بعد القسم. وهذا عنصر تأثير نفسي حجاجي، يجعل المستمع يتهيأ لقبول الفكرة، وإضفاء المصداقية والسلطة الدينية للإمام، فهو لا يتحدث من موقع عادي، بل يقسم بالله، وهذا يدلّ على صدق المتكلم وجديته، ويمنح القول سلطة روحية وأخلاقية، خصوصًا أن المتكلم إمام معصوم. كذا فإنّ القسم قد مهّد لسلسلة من الأوصاف الشديدة:(لعقبة كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها...)، فكل هذه الأوصاف تمثل دليلاً تفصيليًا على مضمون القسم، وهو أن هذه العقبة صعبة حقًا، فالقسم هو مقدمة حجاجية لما بعده.

وجاءت الجملة بعد القسم مقترنة بـ(إنّ) واللام المزحلقة (لَعقبة)، وهذا يعزّز الوظيفة الحجاجية للقسم، إذ اجتمع: قسم (وأيم الله)، توكيد بـ(إنّ)، وتوكيد باللام، وكلّها تقنيات لغوية تخدم الحجاج بالإقناع والتوكيد القطعي. فالقسم في هذا الموضع أدّى وظيفة حجاجية متمثلة في تأكيد المضمون وتثبيت صدقيته، تهيئة المتلقي لقبول الفكرة، تعزيز الإثبات العقلي والعاطفي معًا، التمهيد لاستدلال تفصيلي لاحق.

هـ- التوكيد بالتكرار اللفظي: ومن وروده في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى أبي الحسن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ: "وَعَلَيْكَ بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أوصى علياً فقال: يا عَلِيّ، عَلَيْكَ بصَلاةِ اللَّيْلِ، عَلَيْكَ بصَلاةِ اللَّيْلِ، عَلَيْك بصلاة اللَّيْلِ، وَمَنِ اسْتَخف بصَلاةِ اللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنّا" (الميانجي، 1431هـ : 6/421).

برزت وظيفة التكرار اللفظي الحجاجية في قول الإمام العسكري (عليه السلام): (وَعَلَيْكَ بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل)، فالتوكيد الحجاجي من خلال التكرار ليس تكرارًا خاليًا من الدلالة، بل هو تكرار مقصود يُستخدم لأغراض حجاجية، منها ترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بهدف إقناعه بأهمية صلاة الليل، وجعلها معلّقة في ذهنه، لا تُنسى. فهذا الإلحاح اللفظي هو نوع من الضغط الحواري الذي يُمارس لا بقوة الجبر، بل بقوة الإقناع العاطفي والمعنوي.

وإسناد التكرار إلى النبي (صلى الله عليه وآله)عندما نقل الإمام وصية النبي لعليّ (عليه السلام) بالتكرار ذاته، أعاد تكرار العبارة ثلاث مرّات كما جاءت في وصية الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا يُكسب الخطاب الحجية الشرعية والتاريخية، فحجّة السلطة الدينية بيّنت أنّ التكرار هنا لا يأتي من الإمام وحده، بل مستند إلى خطاب المعصوم الأول، وهو النبي محمد (صلى الله عليه وآله). وهذا النوع من التكرار يزيد في حجاجية الخطاب لأنه مضاف إلى أعلى سلطة في الإسلام. وأيضًا قام التكرار اللفظي بالربط بين التكرار والتمييز العقدي، ففي ختام النص، قال الإمام: (وَمَنِ اسْتَخف بصَلاةِ اللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنّا)، وهذا يُبرز أثر التكرار الحجاجي، إذ يُهيّئ المتلقي لقبول هذا الحكم الجازم (فليس منّا)، لأنّه سبقته مقدمات لفظية مكررة توصل إلى نتيجة إلزامية تحصر الانتماء الحقيقي لأهل البيت (عليهم السلام).

2- عاملية القصر: القصر في اللغة الحبس والحصر (ينظر: منظور، د.ت: 97/5)، وفي الاصطلاح "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص، ويُقال أيضًا: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عمّا عداه" (السيوطي، د.ت: 520/2)، ويُعدّ القصر من العوامل الحجاجية التي يستند إليها المرسل لتوجيه خطابه الوجه الذي يريد. والقصر في العربية على نوعين:

أ- القصر بـ (إنّما): تتكوّن من (إنّ) المشبهة بالفعل الداخلة على الجملة الإسمية، بعد دخول (ما) الكافة الزائدة للتوكيد عليها فكفتها عن العمل فـ "تغيّرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدًا عاديًا، إلى كونه توكيدًا قاصرًا أو حاصرًا" (المخزومي، 2017: 238)، وتُعدّ (إنّما) من العوامل الحجاجية الدالة على الحصر والتقييد، إذ تقوم بترتيب الحجج وتقويتها داخل النص وتزيد من درجة الحجاج للملفوظات الواردة بعدها، فغرض المرسل من إيراد (إنما) هو التأثير في المتلقي وإقناعه بطريقة الحصر والتقييد، وتكمن حجاجيته في كونه يفيد القصر الحقيقي.

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى أهل المدائن في معنى حديث الإمام الصادق (عليه السلام) : "حديثنا صعب مستصعب..." (المجلسي، 1403هـ : 183/2). فجاءهم الجواب: "إِنَّمَا مَعنَاهُ أَنَّ المَلَكَ لَا يَحتَمِلُهُ فِي جَوفِهِ حتّى يُخرِجُهُ إِلَى مَلَكٍ مِثلِهِ، وَلا يحتمِلُهُ نَبِيٌّ حتّى يُخرِجُهُ إِلَى نَبِيٍّ مِثلِهِ، ولا يحتمِلُهُ مُؤمِنٌ حتّى يُخرجهُ إلى مؤمِنٍ مِثلِهِ، إنَّما معناهُ ألّا يحتمِلُهُ في قلبهِ مِن حَلَاوةِ ما هُوَ فِي صدرِهِ حتّى يُخرِجُهُ إلى غَيرِهِ" (الميانجي، 1431هـ : 282/6).

في هذا النصّ الوارد عن الإمام عليه السلام، لعبت أداة القصر (إنما) دورًا حجاجيًا محوريًا، فهي تفيد القصر، أي تخصيص الحكم بالمذكور دون غيره، وتفيد حصر المعنى في جهة معينة، وهي بذلك أداة حجاجية تقييدية تؤطر المعنى وتحدّه، وهي من أدوات الحصر البلاغية التي تُستخدم لإزالة الإيهام أو لرفع اللبس أو لتفنيد فهم شائع.

وجاءت (إنّما) في قول الإمام (عليه السلام)؛ لتُعيد صياغة المعنى المراد الحقيقي للنص الذي قد يُساء فهمه من ظاهر القول، وتقوم بدور حجاجي توضيحي وتفنيدي، على نحو التفنيد والرد على الفهم الظاهري. فقبل (إنما)، قال الإمام: (لا يحتمله ملك... ولا نبي... ولا مؤمن...) وهذا قد يُفهم خطأً أنه عجزٌ أو ضعف عن التحمل، ثم جاءت (إنما)؛ لتبيّن وتوضح أن الأمر ليس كذلك، بل إنّ المعنى الحقيقي ليس العجز، بل شدّة الحلاوة المعنوية التي تدفع المتلقّي إلى بثّها ونقلها، وهنا قام الإمام (عليه السلام) بعملية حجاجية دفاعية، يزيل بها اللبس الحاصل، ويوجه المتلقي نحو المعنى الأدق، إذ ركز الحجة في معنى واحد دون سواه، وحجّمت (إنّما) التأويلات المختلفة، وحددت المعنى المبتغى والمقصود بالضبط، ليس لعدم القدرة، بل لشدة التأثر ولذة المعنى، حتى لا يُحتمل في النفس إلا بمشاركته للغير فجعلت (إنما) معنى القول محصورًا في سبب وجداني (حلاوة ما في صدره)، لا في سبب عقلي أو عجز. وتكررت (إنما) مرتين في النص؛ لتعزز التأكيد على نفي الفهم الظاهري وتثبيت المعنى المراد عند المتلقي، فصار تكرارها في النص أداة حجاجية توكيديّة وشرحاً تفصيلياً عبر مستويات.

ب- القصر بـ (النفي وإلّا): يعدّ القصر بالنفي والاستثناء (بإلّا) من التراكيب التي تترتب فيها الحجج بحسب درجة قوّتها الحجاجية، فيستعمل العامل الحجاجي في توجيه القول إلى وجهة واحدة، نحو ما يعتقد به المتكلم، ويريد إثباته، وهذا ما يستثمره المرسل في محاولة منه للدفاع عن قضيّة معينة يعتقد بها ويريد المتلقي أن يقتنع بها (ينظر: الشهري، 2004 : 519- 520). إذ يكون في أسلوب النفي بالاستثناء إمكانات حجاجية كثيرة داخل الجمل المحصورة أو المقصورة؛ لأنها تخدم نتائج متعددة، ولأنّ القصر يضيق المحتوى ويكثفه، ويؤدي إلى الإسراع بالنتيجة (ينظر:النقاري، 2006: 65).

وقد وردت نصوص متعددة عن أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في كلام الإم العسكري (عليه السلام) منها : "فاعلَمُوا إنّ مَن يَبخلُ فإنّما يبخلُ عن نَفسِهِ، إنّ اللهَ هو الغنيُّ وأنتمُ الفُقراءُ إليهِ، فاعملُوا مِن بعدِ مَا شِئتُم فسَيَرى اللهُ عَمَلَكم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنونَ، ثُمّ تُردَونَ إلَى عَالِمِ الغَيبِ والشهادةِ فَيُنَبِئكم بمَا كنتُم تَعمَلُونَ وَالعَاقِبةَ للمُتَقِينَ، ولا عدوَانَ إلّا عَلَى الظَالمينَ" (الميانجي، 1431هـ : 416/6).

في هذا الكتاب للإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وظّف أسلوب الحصر بالنفي والاستثناء كآلية حجاجيّة فاعلة، فقوله (عليه السلام): (ولا عدوانَ إلّا على الظالمينَ)، يعني لا يوجد عدوان مشروع، ولا يُقرّه العقل أو الشريعة، إلا إذا وُجّه إلى الظالمين. فالإمام (عليه السلام) أراد أن يؤكد أنّ أي موقف عدواني أو تصعيدي لا يُعدّ ظلمًا أو باطلًا إذا كان موجهًا نحو الظالمين، وهذا يدفع عن المؤمنين تهمة العدوان، فهو إقناع عقل للمتلقي جعلَ الحكم نهائيًا لا يقبل الشك، ويخاطب العقل، فيقول: إن العداوة والخصومة ليست منهجًا عامًا، بل موجهة فقط لمن ظلم. فالنص صنع حاجزًا أخلاقيًا واضحًا بين الظالم وغير الظالم، ليبيّن أن عدالة الموقف ترتبط بعدالة الطرف المقابل، وفيه تحذير ضمنيّ غير مباشر من خلال الحصر لكل من تسوّل له نفسه الظلم، بأن يكون مستحقًّا لذلك العدوان، فالحصر في النصّ خدم الوعظ والتنبيه، وفيه ربط بالحساب الأخروي، إذ سبق هذا الحصر قول الإمام (عليه السلام): (ثم تُردّون إلى عالم الغيب والشهادة...)، ففيه تصعيد حجاجي يجعل الحصر خاضعًا لميزان العدالة الإلهية.

ثالثًا: عاملية النفي بـ (ما- لا– لم – ليس- إن): يعدّ أسلوب النفي عاملًا حجاجيًا يحقق غرض المتكلم في إذعان المتلقي وإقناعه والتأثير فيه وتسليمه، إذ يتم توجيهه باللفظ إلى النتيجة المبتغاة التي يريدها (ينظر: الناجح، 2011:

47). فـ "النفي إنّما يكون حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلّا أنّ أحدهما نفي والآخر إيجاب" (يعيش، د.ت : 31/5). وتبرز حجاجية النفي إذ تحتل أحرف النفي الصدارة في الجملة "ويمثل الصدر بالحرف أمرين أحدهما تغير معنى الكلام و الآخر التأثير في م مضمون الكلام" (المبخوت ش.، 2007: 42).

1- النفي بـ (ما): تدخل (ما) النافية على الجملة الإسمية والجملة الفعلية، وتنفي الفعل الداخلة عليه، وعلى هذا ثمة إجماع من النحويين، ويجوز تكرارها في الجملة، ولا يجوز حذفها (سيبويه، 1988: 116/1).

ومن ورود ما النافية في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى بعض أصحابه في اتصال الوصية من لدن آدم (عليه السلام) : "مَا مُنِيَ أَحَدٌ مِن آبَائي بِمَا مُنِيتُ بِهِ مِن شَكِّ هَذهِ العِصَابَةِ فِيَّ، فَإِن كَان هذَا الأمرُ أَمرًا اعتقدتمُوه وَدُنتُم بِهِ إِلَى وقتِ ثُمّ يَنقَطِعُ، فَلِلشَكِّ مَوضِعٌ، وَإِن كَانَ مُتَصِلًا مَا اتصلت أُمُورُ اللهِ عَزّ وَجَلّ فَمَا مَعنَى هَذَا الشَكّ؟" (الميانجي، 1431هـ : 265/6).

برزت وظيفة (ما) النافية الحجاجية في قول الإمام:(ما مُني أحدٌ من آبائي...)، في إظهار التفرد والتميّز في المحنة، فالإمام (عليه السلام) ينفي أن أحدًا من آبائه قد ابتُلي بمثل شكّ هذه العصابة فيه، فهدف (ما) الحجاجي هو إثارة الانتباه العقلي والعاطفي لدى السامعين، إذ يُظهر حجم الابتلاء الخاص به كدليل على عِظَم مقامه واختبار الناس به. فالحصر بطريق النفي أظهر أن لا أحد من آبائه (عليهم السلام) ابتُلي بمثل هذا، أي أنّه حالة خاصة لا ينبغي التساهل معها. فالحجة هنا تقوم على رفض التناقض، إذ كيف يُعقل أن تشكّوا في استمرار الإمامة، وهي أمرٌ إلهيٌّ متصلٌ ما اتصلت الأمور الإلهية. واستعمل الإمام (عليه السلام) الاستفهام الإنكاري؛ لينكر فيه الإمام أصل وجود معنى للشك، بعد أن أقام الدليل. وفي إحراج للخصم الحجاجي، إذا لم يكن للشكّ معنى، فهو باطل، وبالتالي حجتكم ساقطة.

2- النفي بـ (لا): إنّ النفي بالأداة (لا) لا يقلّ فاعلية عن النفي بالأداة (ما)، وتُعدّ من أقدم أحرف النفي في اللغة العربية (ينظر:السامرائي، د.ت : 204)، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية فهي "حرف نافٍ أيضاً موضوع لنفي المستقبل، قال سيبويه: وإذا قال: هو يفعل، ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل فـ (لا) جواب هو يفعل، إذا أريد به المستقبل. فإذا قال القائل: يقوم زيد غداً، وأريد نفيه قيل: لا يقوم، لأن (لا) حرف موضوع لنفي المستقبل وكذلك إذا قال: ليفعلن، وأريد النفي قيل: لا يفعل، لأن النون تصرف الفعل للاستقبال، وربما نفوا بها الماضي نحو قوله تعالى: {فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} أي لم يصدق ولم يصل ... حملوا (لا) في ذلك على (لم) إلا أنهم لم يغيروا لفظ الفعل بعد (لا) كما غيروه بعد (لم) لأن (لا) غير عاملة و(لم)عاملة ولذلك غيروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل" (يعيش، د.ت: 33/5)، ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى الأقرع في احتلام الإمام: "حَالُ الأئمةِ فِي المَنَامِ حَالُهم في اليَقَظَةِ، لَا يُغيّرُ النَومُ مِنهم شيئًا، وقَد أَعَاذَ اللهُ أَولياءَهُ من لَمّةِ الشَيطَانِ، كَمَا حَدَّثتَكَ نَفسُكَ" (الميانجي، 1431هـ : 281/6)

عملت (لا) بوصفها أداة نافية ذات وظيفة حجاجية كاملة في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في قوله : (لا يُغيّرُ النومُ منهم شيئًا)، دخلت لا النافية على الفعل المضارع، والجملة كاملة تنفي وقوع التغيير على الأئمة بالنوم. فالوظيفة الحجاجية الكاملة لـ (لا) في هذا السياق قد بيّنت التوكيد العقائدي، إذ أنَ الإمام (عليه السلام) ينفي أن النوم يُحدث تغييرًا في حال الأئمة (عليهم السلام)، فيؤكد بذلك استمرار صفاتهم العصامية والعلمية والمعنوية في كل حال. فـ(لا) هنا تُبطل اعتراضًا محتملًا في ذهن المخاطَب، الذي ربما تصوّر أن للنوم أثرًا على الإمام كغيره من الناس، وهي النتيجة التي يريد الإمام (عليه السلام) توجيه المخاطَب إليها

واستخدام (لا) في هذا السياق هو نفي قاطع لا يُبقي احتمالًا بأن يكون النوم مدخلًا للضعف أو الغفلة على الإمام. وهذا النفي يسهم في بناء صورة الإمامة المعصومة الكاملة المتصلة بالله تعالى في كل الأحوال، دون فجوة. كذا قام الإمام (عليه السلام) بالربط بين النفي والإثبات في الحجاج، فلم يكتفِ بالنفي بـ(لا) فحسب، بل عزّزها بدليل إثباتي مباشر: (وقد أعاذ الله أولياءه من لمّة الشيطان)، أي أن حفظهم من الشيطان دليل على أنهم لا يتأثرون بالنوم مطلقًا. وقد ربط الإمام (عليه السلام) حجاجيًا بين الفرض والردّ، إذ كان من الممكن أن تظن النفس أن النوم يؤثر عليهم، فجاءت (لا) كرد صريح على حديث النفس: (كما حدثتك نفسك) وهنا يتحقق الربط الحجاجي بين الذهن البشري والرد الإلهي.

3- النفي بـ (لم) : هو خاص بنفي الجملة الفعلية التي صدرها فعل، يدخل على الفعل المضارع فيعمل فيه الجزم فيعمل فيه الجزم (ينظر:سيبويه، 1988: 8/2)، ويفيد مع الجزم معنيين: الأول، النفي أي نفي ثبوت النسبة بين المسند "المضارع" والمسند إليه "الفاعل أو نائبه" . الثاني، القلب أي قلب زمن الفعل المضارع الدال

على الحال أو الاستقبال إلى زمن الماضي أو بتعبير آخر يخلص المضارع للدلالة على المضي (ينظر: علي ع.، 2011 : 278)، فهو "النفي "فعل" يريد أنه موضوع لنفي الماضي فإذا قال القائل: قام زيد، كان نفيه: لم يقم، وهو يدخل على لفظ المضارع ومعناه الماضي .. دخلت على لفظ المضارع ونقلت معناه إلى الماضي وهو الأظهر، لأن الغالب في الحروف تغيير المعاني لا الألفاظ نفسها فقالوا: قلبت معناه إلى الماضي منفياً، ولذلك يصح اقتران الزمان الماضي به فتقول: لم يقم زيد أمس، كما تقول: ما قام زيد أمس" (يعيش، د.ت، صفحة 35/5)، وإذا دخلت أداة

الشرط على (لم)فإنها تقلب دلالة الفعل قلبًا ثانيًا؛ لأنّها "تردّ المضارع إلى أصل وضعه في صلاحية الاستقبال" (اللطيف، 2003 : 291).

ومن ورود الحرف (لم) عاملًا حجاجيًا في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى أحمد بن إسحاق: "وُلِدَ لنَا مَولُودٌ، فليَكُن عندكَ مَستُورًا، وعن جَمِيعِ النَاسِ مَكتُومًا، فَإنّا لم نُظهِر إلّا عَليهِ إلّا الأقربَ لِقرَابَتِهِ، والوَليَّ لِوِلَايتِهِ أحبَبنَا إعلَامَكَ لِيَسَّرُكَ اللهُ له مثل ما سرّنا بِهِ، والسلام" (الميانجي، 1431هـ : 269/6).

جاء الحرف (لم)في السياق نفيًا للفعل (نُظهر)، أي نفى وقوع الإظهار في الماضي القريب، وهو يفيد وظيفته حجاجية هي التأسيس لنفي دعوى الخصوم أو المحتملين، وإبطال أي تصور شائع أو متخيَّل لدى المخاطب أن الأمر كُشف لعدد كبير من الناس، وإغلاق الباب أمام الاعتراض أو سوء الفهم، إذ يُقَدِّم الإمام نفسه كضابط لحركة النبأ.

يُستعمل النفي لإظهار التمييز والتقييد، وهو ما يفعله الإمام هنا. فاستعمال الإمام للحرف (لم) الداخل على الفعل (نظهر) جاء ردًّا ضمنيًّا على افتراض أو احتمال أن الولادة قد تم الإعلان عنها على نطاق واسع. فنفى الإمام ذلك نفيًا قاطعًا ليدفع الوهم أو الشبهة. وفيه تقوية لدعوى الكتمان والتعليل بها: (فليكُن عندك مستورًا... فإنا لم نظهر)، أي: الكتمان الذي أطلبه منك ليس أمرًا طارئًا، بل هو نهجٌ نتّبعه حتى مع الأقرباء، ولم نظهر الأمر إلا للضرورات. وهنا يتحقق الاحتجاج بالفعل النافي لدعم طلب الإخفاء، وبناء صورة ذهنية مضبوطة عن (الظهور)، إذ باستخدام (لم)، يحدّد الإمام إطارًا زمنيًّا ودلاليًّا دقيقًا للإظهار؛ وكأنّه يقول: نحن لم نُظْهِر الحدث بعدُ على الإطلاق (إلا لمخصوصين)، مما يساهم في حصر الحقيقة وتوجيه المتلقي نحو فهم مخصوص للموقف، وتقوية موقف المخاطَب ودعمه نفسيًّا، ببيان أن هذا الكتمان مطلوب ومقصود من قبلهم كأئمة، فإن الإمام يُطمئن المخاطَب ويوفر له أساسًا حجاجيًّا داخليًّا لالتزام الطلب، وتعزيز الثقة مع المُخاطَب، فالإمام يقول: نحن (لم نظهر) إلّا لهؤلاء وأنت منهم، بدليل قوله: (أحببنا إعلامك ليسرّك الله له كما سرّنا به)، فجمع الإمام (عليه السلام) بين النفي والاستثناء، وهذه صيغة بلاغية حجاجية قوية تُستخدم للحصر، أي أنّ كلّ من عدا الأقرب لم يُخبَر بالحدث، وهي حجّة قوية تؤدي لنتيجة مبتغاة وهي بناء قاعدة مفادها أن الإظهار كان استثنائيًّا، دقيقًا، وليس عامًا، وهو ما يُعزّز طلب الإمام بالكتمان، ونقل المخاطَب من خارج دائرة المعرفة إلى داخلها، فيكون هذا ترفيعًا له، وفي الوقت نفسه إقناعًا ضمنيًّا بوجوب كتمان الأمر، لأنه من خواص أهل الثقة.

4- النفي بـ (ليس): فعل ناسخ تدخل على الجملة الاسمية، فترفع المبتدأ اسمًا لها وتنصب الخبر خبرًا لها (ينظر:الخضري، 1940: 212/1)، وهي "كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بالقرينة" (الأنصاري، 1940: 325/1). ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه لمن سأله عن أكل البطيخ على الريق، وعن صاحب الزنج: "لَا يُؤكل عَلَى الرِيقِ؛ فإِنَّهُ يُورِثُ الفَالجَ، وَصَاحِبُ الزِنجِ لَيسَ مِنَّا أَهلَ البيتِ" (الميانجي، 1431هـ : 309/6).

قام الفعل (ليس) قام بدور حجاجي قوي في النص، إذ استعمل الإمام (عليه السلام) الفعل (ليس) لنفي صفة الانتماء عن (صاحب الزنج)، وهو نفي حاسم يحمل دلالة قطعية؛ ليصل إلى نتيجة مبتغاة، وهي إخراج هذا الشخص أو هذه الفئة من دائرة الانتساب لأهل البيت (عليهم السلام). فجاء الفعل (ليس) كأداة حجاجية لإثبات نقيض ما يُنفى، وفي هذا الموضع، الإمام يريد أن يؤكد أن من يتصف بصفات صاحب الزنج (من العصيان أو التمرد) لا يمتّ إلى أهل البيت (عليهم السلام) بصلة. وهذه الجملة تحمل قيمة معيارية وأخلاقية حجاجية؛ لأنّ الانتساب إلى أهل البيت ليس انتسابًا اسميًا، بل سلوكيًا وعقائديًا. فالنفي هنا يكشف معيار الانتماء الحقيقي. فقوله (عليه السلام): (ليس منا) من التعابير ذات القوة الإقناعية العالية في الخطاب الإسلامي، وقد وردت كثيرًا عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)؛ للدلالة على نفي القرب الديني والأخلاقي عن من يخالف نهجهم، بالتالي، فإنّ الفعل (ليس) قد فعّل وظيفة الحجاج بالسلب والنفي القاطع، مما يقوّي الموقف الأخلاقي للإمام تجاه سلوك منحرف، ويجبر المتلقي على إعادة تقييم سلوكه أو فهمه لمعيار الانتماء.

أمّا حرف النفي (إن) الداخل على الجملة الإسمية أو الفعلية، فلم أجد له مثالًا في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

1- التشبيه: هو أن يشارك أمر لأمر آخر في معنى، نحو: العلم كالنور في الهداية (ينظر:الهاشمي، د.ت : 219). ومن ورودها في كلام الإمام العسكري(عليه السلام): "نحنُ لُيُوثُ الوَغَى، وَغُيُوثُ النَّدى...وأسباطُنا خُلَفَاءُ الدِينِ، وَخُلَفَاءُ اليقينِ، ومصَابِيحُ الأُممِ، وَمَفَاتِيحُ الكَرمِ" (الميانجي، 1431هـ : 259/6).

أدّى أسلوب التشبيه في هذا النص دورًا حجاجيًا مهمًّا في بيان فضل أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم الرسالية، إذ أبرز القوة والشجاعة (نحن ليوث الوغى)، وهو تشبيه للإمام وأهل البيت بالأسود في ميادين الحرب، وهذا تشبيه تمثيلي يحمل قوةً دلاليةً لإثبات شجاعتهم وبأسهم الشديد، فهم ليسوا محاربين فقط، بل كـالأسود التي تُهاب، فالحجّة هنا تقوم على إثبات الكفاءة القيادية عبر الصورة الحسية. وإظهار الكرم والعطاء (غيوث الندى)، فالإمام يشبّه نفسه وأهل البيت بالغيث في الكرم والعطاء، وهذا تشبيه مجازي يهدف إلى ترسيخ حجّة أنّهم رحمة للأمة وسقيا روحية ومعنوية لها، فالحجاج هنا عاطفي وعقلي، يجمع بين الإقناع والمنطق والوجدان .
وقوله (عليه السلام): (أسباطنا... مصابيح الأمم)، تشبيه يدلّ على الهداية والضياء الفكري والروحي. و(مفاتيح الكرم)، تشبيه يدلّ على أنهم سبب في انفتاح أبواب الرحمة والعطاء، وكلا التشبيهين يعمّق الحجة بأنهم وسائط الفيض الإلهي والهدى للناس. فأسلوب التشبيه في هذا النص أسلوب تبريري وتعزيزي، إذ يبرّر إمامتهم ويعزّز موقعهم، ويقوم على نقل المجرّد إلى المحسوس لشدّ ذهن المخاطب، ويدمج بين البرهان العقلي والعاطفي لإقناع السامع بعظمة أهل البيت (عليه السلام).

2- المجاز: هو "لفظ يستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، فإذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة، فهو استعارة، وإلّا فهو مجاز مرسل، ويُعدّ من أحسن الوسائل البيانية لإيضاح المعنى، فبه يظهر المعنى متصفًا بصفات حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع (ينظر:الهاشمي، د.ت : 251- 252).
ومن وروده في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، كتابه إلى أيوب بن الناب في الفضل بن شاذان: "الفَضلُ بن شَاذَان مَالَهُ ولِمُوَالِيَّ يُؤذِيهِم وَيُكَذِبَهُم! وأَنِّي لأَحلِفُ بِحَقّ آبَائِي، لَئِن لَم يَنتَهِ الفَضلُ بنُ شاذانِ عَن هَذَا لأرمِيّنّهُ بِمَرماةٍ لَا يَندَمِلُ جُرحُهُ مِنهَا فِي الدُنيَا وَلَا فِي الآخِرة" (الميانجي، 1431هـ : 245/6).
نلحظ في هذا النص أنّ الإمام (عليه السلام) استعمل المجاز البلاغي بشكل مميز؛ ليخدم وظيفة حجاجية صارمة، تتجاوز التعبير العاطفي إلى بناء موقف حاسم. فالمجاز الحجاجي هو تعبير غير حقيقي يُستعمل للإقناع أو للتهويل أو للتأثير في السامع من خلال صورة خيالية تجعله يسلّم بالموقف أو الحكم دون مقاومة عقلية. وقد وظّف الإمام المجاز في قوله: (لأرمينّه بمرماة)، وهذا تعبير مجازي؛ فالإمام لا يرمي سهمًا حسيًّا، بل يرمز إلى قولٍ شديد أو دعاءٍ قاطع أو عقوبةٍ روحية أو معنوية، الرمي هنا مجاز عن الرد الحاسم، أو العقاب المعنوي أو الإلهي. والمجاز في (لا يندمل جرحه منها)، الجرح هنا ليس جرحًا بدنيًّا، بل أثر دائم نفسي أو أخروي، فالمقصود هو عقوبة لا تُمحى، أو خزي لا يُنسى، أو دعاء تُستجاب آثاره ولا تزول. فكان الدور الحجاجي للمجاز في هذا السياق هو التهويل والتخويف. فالمجاز قام بوظيفة حجاجية تهديدية، تقوم على تصوير أثر العقوبة المعنوية بصورة حسّية شديدة الإيذاء يجعل العقوبة مرعبة في صورتها، (رمي، جرح لا يندمل، خلود في الألم)، وهذا يُرعب السامع ويُربك الخصم ويمنعه من الاستمرار في خطئه، وفيه ترسيخ للحقّ وتحذير من الباطل، فالإمام هنا لا يخاطب الفضل فقط، بل يبني خطابًا حجاجيًا لأتباعه أيضًا، ليُبيّن أن مخالفة الحق ومهاجمة الموالين له ذنب عظيم يجرّ غضبًا لا يُحتمل، وقد استطاع أن يحقق الإقناع الوجداني والعقلي من خلال صورة مجازية قوية، تنقل الرسالة إلى وجدان السامع مباشرة، فيشعر بعمق التهديد دون أن يحتاج إلى تفصيل عقلي. وفي النص تصعيد تدريجي في الحجاج، إذ بدأ الإمام بوصف أذى الفضل، ثم انتقل إلى القسم (أني لأحلف...)، ثم إلى التهديد المجازي الرهيب، مما يبني حجّة متدرجة متصاعدة. وقد أدّى هذا المجاز إلى توليد الإقناع العاطفي، وبثّ الرهبة في نفس المخاطَب، وتحقيق التأثير البلاغي الهادف إلى ردعه، وإظهار شناعة فعله، مما يجعل المجاز أداة مركزية في بناء الحُجّة وتأطير الخطاب العقابي.

3- الاستعارة: هي "استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلّا تشبيهًا مختصرًا؛ لكنّها أبلغ منه" (الهاشمي، د.ت: 256). وللاستعارة وقع جميل في لغتنا؛ لأنّها تعطي الكلام قوة، وتكسوه جمالًا ورونقًا، وفيها تُثار الأهواء والإحساسات (ينظر: الهاشمي، د.ت : 259).
ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) : "أعوذُ باللهِ منْ قومٍ حذفوا مُحكمات الكتاب، ونسُوا اللهَ ربَّ الأربابِ و النبيّ وسَاقِي الكَوثرِ فِي مَوَاقِفِ الحِسَابِ، وَلظَى و الطّامَة الكُبرى و نعيم دارِ الثوابِ فَنَحنُ السَّنامُ الأعظمُ، و فِينَا النبوة و الولاية و الكرم، و نحنُ منار الهدى و العروة الوثقى، والأنبياءُ كَانُوا يقتبسونَ مِنْ أنوَارِنَا، وَيَقتَفُونَ مِن آثارِنَا، وَسَيظَهرُ حُجّةُ اللهِ علَى الخَلقِ بِالسّيفِ المَسلُولِ لإظهَارِ الحَقّ" (الميانجي، 1431هـ : 260/6).
في قول الإمام (عليه السلام): (والأنبياء يقتبسون من نورنا) تقوم الاستعارة هنا على تشبيه غير مُصرّح به، فقد شُبّه العِلم أو الهداية أو الفيض الرباني الذي عند أهل البيت بـ(النور)، وشُبّه الأنبياء بالمستضيئين أو المقتبسين من هذا النور، كما يقتبس الإنسان شعلة من مشعل لإنارة طريقه. فالاستعارة مكنية، إذ حُذف المشبّه به (المشعل أو المصباح) ورُمز إليه بالفعل (يقتبسون). وقد عملت هذه الاستعارة كأداة حجاجية قوية من خلال الاحتجاج بـالمنزلة العليا، حين يقول الإمام إن الأنبياء أنفسهم (يقتبسون من نورنا)، فهو يثبت للسامع نتيجة، وهي

علو مقام أهل البيت عليهم السلام، بل ويجعله يفوق الأنبياء في هذا السياق. وهذا احتجاج ضمني على أحقّيتهم بالاتباع والطاعة. وقرّب الإمام المعنى المجرد بصورة حسية، فالمعاني المجردة مثل الهداية، والعلم، والفضل، تُجسَّد بصورة (النور)، وهي صورة حسية قريبة للفهم، تجعل الحُجّة أكثر تأثيرًا في وجدان السامع. وفيه إقناع عاطفي وروحي، فصورة (النور) تَبعثُ في المتلقي شعورًا بالقداسة والجلال والنقاء، مما يُكسب القول قوّة حجاجية وجدانية، لا تعتمد فقط على المنطق بل على الإحساس الروحي أيضًا. وكرّس الإمام (عليه السلام)الاختزال البلاغي لخدمة الإقناع، فبدلاً من تفصيل العلاقة بين الأنبياء وأهل البيت بالكلمات المباشرة، استعمل الإمام استعارة بليغة تختزل المعنى في مشهد نوراني مقنع، وهذا من أساليب الإقناع غير المباشر الفعال جدًا في الحجاج.

وفي عبارة (ويقتفون آثارنا)،الفعل (يقتفون) مأخوذ من القَفْو، أي اتباع الأثر وتتبع الخطى (ينظر: منظور، د.ت : 194/15). الاستعارة هنا، شُبّه الأنبياء أو غيرهم بمن يسير خلف أهل البيت، يتبع آثار أقدامهم على طريق واضح، فالمعنى الحقيقي ليس تتبع الأقدام، بل اتباع المنهج والسلوك والهداية، فهذه استعارة تصريحية، حيث صُرِّح بالمشبه به (ينظر:الهاشمي، 1431هـ : 259) (الاقتفاء للأثر)، وأريد به الاقتداء والاتباع. إذ قامت الاستعارة بدور حِجاجي، إذ احتجت بمنزلة القُدوة والمرجعية فعندما يصوِّر الإمام (الأنبياء أو الأولياء) كمن يقتفي أثرهم، فهو يُثبت أنهم هم الأصل، وهم المَتبوعون، وليسوا تابعين لأحد.

وهذه حُجّة ضمنية على علوّ مقامهم، وأن الهداية عندهم. ولإضفاء وضوح على العلاقة بين الطرفين، استعمل (اقتفاء الأثر) فأعطى صورة واضحة، هناك طريق، وهناك من يسير أولًا، ومن يأتي بعده يتّبع، وهذا يُزيل الالتباس ويُقنع السامع بأن أهل البيت هم السبّاقون إلى الحقّ، والآخرون على إثرهم. ومثل الاستعارة في "يقتبسون من نورنا"، هنا أيضًا الإمام لا يُبرهن منطقيًا، بل أظهر صورة مُقنعة، أي:(نحن نُمهّد، وغيرنا يسير على هُدانا)، وهذه صورة تقوي الحجاج الروحي والوجداني، وصور مثل (اقتفاء الأثر) تبعث الإحساس بالهيبة، والعظمة، والأصالة، وتُقنع المتلقي .

فالاستعارة في قول الإمام أدّت وظيفة حجاجية مهمة، إذ قدّمت صورة بلاغية تؤكّد أن أهل البيت هم الأصل والهداة، وأن غيرهم – مهما علا مقامه – يسير على هديهم ويتتبع طريقهم، مما يرسّخ فكرة المرجعية المعرفية والروحية لهم عليهم السلام.

4- الكناية: هي لفظ أطلق وأُريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي (ينظر:الهاشمي، د.ت: 287).

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) توقيعه إلى أحمد بن داوود، ومحمد بن عبد الله الطلحي: "أنَا راحِلٌ إلَى اللهِ فِي هَذِهِ اللَيلَةِ، فَأَقِيمَا مَكَانَكُمَا حَتّى يأتِيكُمَا أَمرُ إبني" (الميانجي، 1431هـ : 261/6). في قول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (أنا راحلٌ إلى اللهِ في هذه الليلة)،هي كناية عن الموت، لكنها جاءت بصيغة موحية غير مباشرة، لا تذكر الموت صراحة، بل تعبّر عنه تعبيرًا ملطّفًا يشير إلى الانتقال أو السفر إلى الله تعالى، مما جعل الموت سفرًا مقدّسًا، لا نهاية مأساوية، وهذه بلاغةٌ حجاجية عالية، تؤثّر في القلوب وتثبت صدق الإمام ويقينه، وهو عنصر حجاجي بالغ التأثير في المتلقي، إذ أثارت انتباهه وأثّرت فيه عاطفيًا، فالتعبير بالكناية بدلاً من التصريح بالموت يجعل المتلقي يتوقف ويتأمل، فيُحدث أثرًا وجدانيًا أعمق، خصوصًا أنه صادر من إمام معصوم. وهذا التلطيف يُعظّم الموقف ويُضفي عليه هيبة روحية، مما يقوّي الحجة على المستمع بأن الإمام على يقين بلقاء الله، وهذا اليقين حجة بحد ذاته للإقناع من خلال التلميح لا التصريح.

فالكناية تحمل المعنى وتخفيه في ثوب أدبي، مما يجعل المتلقي أكثر استعدادًا لتلقي الرسالة، لأنها لا تأتي بصيغة مباشرة قد تثير النفور أو الحزن المفرط، بل تغلف الحقيقة المؤلمة بإشارة راقية تُعزّز القبول النفسي والمعنوي لها، وتكثّف الحجة الروحية، بما أنّ الإمام (عليه السلام) قالها بوقار ويقين، فإن الكناية تُصبح بيانًا لحال الإمام مع الله، وكأنّ رحيله انتقالٌ طبيعي إلى الجهة التي إليها ينتمي، وهي الله. هذه الصيغة تُثبت حُجّية مقام الإمام القائم على الاتصال بالله. وتؤكد الكناية على التسليم والرضا بالقضاء، إذ عبّرت ضمنيًا عن الرضا بقضاء الله وعن استعداد تام للرحيل، وهو ما يُشكّل موقفًا حجاجيًا أخلاقيًا يقدّمه الإمام للناس، وهو أنّ الموت لقاءٌ لا فرار منه، ويجب أن يكون بطمأنينةٍ ويقينٍ بالله.

المبحث الثالث: الآليات المنطقية وشبه المنطقيّة

ومن هذه الآليات التي تحققت في كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) :

1- القياس الخطابي: هو من العمليات الاستدلالية العقلية التي يقوم بها الخطيب، إذ يربط "بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك، بناء على أن القياس يقوم على التجربة، التي ينطق بها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية" (بوبلوطة، 2010: 99)، ويستمد قوته الإقناعية من الطرائق الشكلية والرياضيّة والمنطقيّة في البرهنة (ينظر:صولة ع.، د.ت : 325)، فالقياس

الخطابي على وفق هذا الكلام قياس مضمر، إذ أنّه لا يقوم على أساس الخطاب المباشر، وإنّما يقوم على الاستدلال عبر بعض الاحتمالات (ينظر: العمري، 2002: 71)، ويقوم أيضًا على خذف المقدمتين وإظهار النتيجة، أو إظهار المقدمتين وإخفاء النتيجة.

وفي كلام الإمام العسكري (عليه السلام) جاء القياس الخطابي جزءًا مهمًا من سلّم الحجاج، ومنه كلامه عليه السلام : "من سأل آية أو برهانًا فأعطي، ثم رجع عمن طلب منه الآية، عُذب ضعف العذاب، ومن صبر أعطي التأييد من الله، والناس مجبولون على جبلة إيثار الكتب المنتشرة، فاسأل السداد، فإنما هو التسليم أو العطب، ولله عاقبة الأمور" (الميانجي، 1431هـ : 6/264- 265).

في هذا النصّ اعتمد الإمام العسكري (عليه السلام) على القياس الخطابي بوصفه أداة إقناعية بالغة التأثير، تنطلق من واقع الناس وطبائعهم، وتصل إلى تقرير حقائق إيمانية حاسمة. ومن خلال هذا القياس، مزج الإمام بين التعليم، والتقريع، والدعوة إلى التثبّت والإيمان، مما أعطى لكلامه بعدًا حجاجيًا متينًا، فكلامه الشريف يحمل قياسًا خطابيًا حجاجيًا متعدّد المستويات، اعتمد فيه الإمام (عليه السلام) على الجمع بين القضايا التجريبية والنفسية والدينية، لتوصيل معنى التسليم وقيمة الثبات على الحق، فالقياس الخطابي هنا لا يُبنى على يقينيات عقلية (كما في القياس المنطقي)، بل على قضايا مقبولة ومجرّبة ومألوفة في واقع الناس، يستعملها الإمام (عليه السلام) ليقنع المخاطب بضرورة الصبر والتسليم، ويحذّره من التقلّب والارتداد بعد ظهور البرهان.

فالمقدّمة الأولى: من طلب برهانًا على صدق الدعوة ثم رجع عنها، استحق عذابًا مضاعفًا، أمّا المقدّمة الثانية ومن صبر، أي: ثبَت رغم غياب البرهان العاجل فقد أُعطي التأييد من الله، والنتيجة الضمنية هي الثبات على الحق بعد ظهور الدليل هو الموقف الحَسن، والارتداد بعد البرهان هو الجريمة الكبرى، فوجه الحجاج هو قياس الإمام حال الإنسان بعد ظهور الآية على حاله قبلها، ويبيّن أن الارتداد بعد البرهان أخطر، مستعملًا الحُكم الديني والأثر النفسي معًا، فيُحرّك في السامع الوازع العقلي والديني معًا.

أمّا القياس الثاني في النصّ، جاءت المقدّمة: الناس يميلون بطبعهم إلى الأمور المنتشرة الظاهرة (كالكتب المنتشرة). فالنتيجة الضمنية: لا ينبغي أن تُسلّم بعقلك لما تميل إليه الجبلة البشرية فحسب، بل اسأل السداد (أي الرشد والهداية من الله). ووجه الحجاج هو مقابلة الإمام (عليه السلام) بين الميل البشري الطبيعي للمظاهر البارزة، وبين طلب السداد (أي الرشد الإلهي)، مُقنعًا المتلقي أنّ الاعتماد على الجبلة الطبيعية وحدها يُفضي إلى الانحراف، ولذلك فالتسليم لله تبارك وتعالى هو النجاة، فالقياس الحاسم في قوله: (فإنما هو التسليم أو العطب)، فالإمام (عليه السلام)يُجري قياسًا حاسمًا ثنائي الطرف، إمّا التسليم لله، أو الهلاك، ولا ثالث بينهما، فاستعمل التقابل القطعي (التسليم ← نجاة / رفض التسليم ← هلاك) وهذ قد عزّز الضغط الحجاجي، وأبرز الحُجّة بمظهر الحتميّة، فدفع السامع دفعًا إلى القبول بالتسليم.

2- الاستشهاد :هو حجّة جاهزة يسعى الخطيب من خلالها إلى تدعيم القيم الإقناعية في خطابه، ويجب على الخطيب أن يحسن توظيفها؛ لأنّ "الأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية والإرشادية وغيرها لا يمكن التطرق إليها إلّا إذا كانت داخلة في بنية قولية خطابية، وتؤدي هدفًا في خطّب حجاجية معيّنة" (الأمين، 2000: 65). ويُعدّ القرآن والحديث النبوي الشريف حجّة قويّة على المسلمين، فمعظم الناس يخضعوا وينقادوا لهما، لأنّهما سلطة دينية قوية سبق تسليم الناس بها؛ لذا لا يحق لأحد منهم أن يعترض عليها أو يشك بها.

ومن ورود الاستشهاد بالقرآن الكريم في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) : "فلمّا منّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيّكم، قال الله في كتابه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)، ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً، أمركم بأدائها ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم، قال الله: (قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)" (الميانجي، 1431هـ : 6/ 418).

قام الاستشهاد بالقرآن الكريم في هذا النص للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بدور حِجاجي قوي ومقنع، لما يحمله من سلطة دينية مطلقة لدى المتلقي المسلم، إذ عزز الحُجّة بمرجعية عليا (القرآن الكريم)، فالإمام العسكري (عليه السلام) استشهد بآيتين من القرآن الكريم قوله تعالى: "اليَوم أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم..." (المائدة:3)، وقوله تعالى: "قُل لا أَسئلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى"(الشورى:23)، والهدف من هذا الاستشهاد هو إقناع المخاطَب بأن ما يقوله الإمام ليس رأيًا شخصيًا، بل هو امتدادٌ مباشرٌ للوحي الإلهي، مما يمنح حجّته قوة لا تُرد، فالإمام استعمل آيتين في سياقٍ حجاجي مترابط، وهو احتجاج بالتدرّج القرآني، الآية الأولى تدلّ على كمال الدين وتمام النعمة بوجود الولاية بعد النبوة، والآية الثانية تدلّ على الحق المترتب على هذه الولاية وهو المودّة في القربى، أي أن الإمام أراد أن يبرهن على أن الولاية ليست بدعة ولا زيادة في الدين، بل هي ركنٌ أصيلٌ أكّد عليه القرآن، وأن محبة أهل البيت هي واجب دينيّ مباشر بنصّ القرآن، وهذه هي وظيفة الدليل النقلي أمام الدليل العقلي في المقام الحجاجي، فالإمام لم يستخدم فقط أسلوبًا عقليًا في بيان فضل الولاية، بل أتبعه بدليل نقلي من القرآن، وهو ما يسمّى بـ (الاحتجاج المركّب)، إذ يجمع بين الدليلين ليدحض الشكوك من كل الجهات، وتقييد الحلال مرهون بأداء الحقوق لأولياء الله تعالى، وهذا ربط شرعي حجاجي بين أداء حقوق أولياء الله وبين إباحة ما أحلّه الله من الأموال والمنافع، وكأن الإمام يقول: إن أداء حقّ الولاية شرط في تمام حِلّيّة النعمة الإلهية، وإثبات أن المودّة في القربى أجر الرسالة،

وهذا أقوى موضع حجاجي، فالآية تُثبت أن محبة أهل البيت هي أجر الرسالة نفسها. فكيف يجوز التفريط بهذا الأجر؟ وهنا يصل الإمام إلى ذروة الإقناع، إن كنتم تعظمون النبي وتؤمنون برسالته، فأدّوا أجر الرسالة بمحبة قرباه.

ومن ورود الاستشهاد بالحديث الشريف في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، كتابه إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمّي: "وعليكَ بالصبرِ وانتظارِ الفرجِ، فإنّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله) قال: أفضلُ أعمالِ أُمّتِي انتظارُ الفرجِ، ولاتزالُ شيعتُنا في حزنٍ حتّى يظهرُ ولدِي الذي بشّرَ بهِ النبيُّ (صلى الله عليه وآله)، يملأُ الارضَ قسطاً وعدلاً كمَا مُلئَت ظُلماً وجَورًا، فاصبر يا شَيخِي يا أبَا الحَسنِ عليَّ، وأمرْ جميعَ شيعتِي بِالصبرِ..." (الميانجي، 1431هـ : 6/ 420).

في هذا النص يُظهر الاستشهاد بالحديث النبوي كآلية حجاجية فعّالة وظّفها الإمام العسكري (عليه السلام) في بناء خطابه، ويمكن تحليل الدور الحجاجي لهذا الاستشهاد من عدّة زوايا: منها تعزيز الحُجّة بالسلطة العليا للنص النبوي، حين يستشهد الإمام العسكري (عليه السلام) بحديث النبي (صلى الله عليه وآله): "أفضلُ أعمالِ أُمّتِي انتظارُ الفرج" (المجلسي، 1403هـ : 122/52)، فهو يحتجّ بنص له مكانة عليا وسلطة دينية لا تُردّ، لأن الحديث صادر عن النبي، وهو مصدر تشريع وسلطة معنوية عليا لدى جميع المسلمين.

ومنها دوره الحجاجي في تقوية دعوته إلى الصبر والانتظار، من خلال ربطها بأفضلية شرعية أقرّها الرسول(صلى الله عليه وآله) نفسه، مما يجعل الامتثال لها ليس خيارًا، بل طاعة دينية، وربط الواقع بالغيب الموعود، في قوله: (لاتزالُ شيعتُنا في حزنٍ حتّى يظهرَ ولدِي الذي بشّرَ بهِ النبيُّ...)، إذ استند فيه إلى نبوءة نبوية عن ظهور المهدي المنتظر (عليه السلام)، مما يمنح الخطاب بُعدًا غيبيًا إيمانيًا يُعزّز الصبر ويُقنع السامع بجدوى الانتظار، والانتقال من الألم الراهن إلى الأمل القادم، بتوسيط الحديث النبوي كـجسر حجاجي بين الحاضر المؤلم والمستقبل العادل، مما يُسهم في تثبيت العقيدة وتقوية النفس، فهو خطاب للعقل والعاطفة في آن واحد، يجمع بين التصوير الواقعي للظلم (إثارة العاطفة) والتبشير بالعدالة (مخاطبة العقل والأمل)، وهو أسلوب حجاجي مزدوج التأثير، يُعزز الحُجّة عبر توازن شعوري ومعرفي، يجذب المتلقي إلى تبني موقف الصبر والانتظار، دون ملل أو اعتراض، وفيه توجيه سلوكي حجاجي جماعي في ختام قوله: (فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن... وأمر جميع شيعتي بالصبر)، إذ انتقل الإمام (عليه السلام)من البيان النظري إلى التحريض العملي عبر وصية تُبنى على الاستشهاد السابق، مما يجعل من الحديث النبوي أساسًا لتوجيه جمعي، جعل الحُجّة النبوية قاعدة للسلوك الجمعي، أي تحويل القول النبوي إلى تكليف عملي ملزم.

3- حجة العلاقة التبادلية: تتمثل هذه الحجّة في معالجة وضعيتين إحداهما سبيل إلى الأخرى معالجة واحدة، إذ تقوم على حفظ نسبة الاستحقاق بين الطرفين المتماثلين من خلال الاستبدال، وهذا يعني أن هاتين الوضعيتين متماثلتان وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل (ينظر:صولة، 2011: 45)، وهي قاعدة تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في إطار مقولة محددة، يربطها رابط سببي، أي الذي ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر؛ لأنّها تمثل محاولة للموائمة بين الحجج العكسية (ينظر:صولة، د.ت : 328).

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) جوابه لسؤال رجل كانت له قناة في قرية، فأراد رجل آخر أن يحفر قناة فوقه، كم يكون بين القناتين من البعد حتّى لا يضر بالأخرى؟ : "عَلَى حَسَبِ أَن لَا يُضِرُّ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، إن شَاءَ اللهُ" (الميانجي، 1431هـ : 336/6).

في هذا النص من كلام الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) تقوم الحجّة التبادلية على المعاملة بالمثل، أو القياس على الطرف الآخر في العلاقة، وتُستخدم في الحجاج لإبراز العدل والإنصاف والتوازن في الحكم، وغالبًا ما تتضمن هذه الحجة فكرة: (كما تُعامِل تُعامَل)، أو (لك حق بشرط ألا تضر بحق غيرك)،أو(ضع نفسك مكاني) (ينظر:أحمد و الزهراء، 2023: 162). وتحققت في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) في قوله: (على حسب أن لا يضرّ أحدهما بالآخر)، نلحظ أن الإمام لم يُعطِ جوابًا رياضيًا أو مقدارًا دقيقًا للمسافة، بل بنى الجواب على ضابطٍ تبادليّ قائم على أن لا يُسمح لأحد الطرفين بالتعدي أو الإضرار بالطرف الآخر، والمقياس في ذلك هو التبادلية في الحقّ وعدم الإضرار، إذ قامت التبادلية بدور حجاجي من خلال التحويل من سؤال هندسي إلى جواب قيمي أخلاقي، فالسائل يسأل عن المقدار المادي (كم مقدار المسافة بين القناتين؟)، لكن الإمام أجابه بجواب قيمي قائم على مبدأ (عدم الإضرار)، وهو أصل من أصول الشريعة الإسلامية، "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام" (الكليني، 1401هـ : 10/ 485- 486). فهنا استند الحجاج إلى قاعدة عامة مقبولة ومسلّمة، فالجواب يشير إلى أنّ كل طرف يجب أن يراعي الطرف الآخر، فلا أحد أحقّ بالإضرار أو التعدي، وهذا يفرض التزامًا متبادلًا من الطرفين، لا من أحدهما فقط، وفتح باب الاجتهاد في التقدير، لكنّه وضع ضابطًا حجاجيًا صارمًا، ما دمت لا تضرّ غيرك، فأنت في حقّك، والعكس كذلك، وهذا يمنع أحد الطرفين من التذرع بالحقّ على حساب الآخر.

فالحجّة التبادلية تقوم على عدم الإضرار المتبادل، فأسلوبها غير مباشر، ووظيفتها الحجاجية تحويل الجواب إلى قاعدة أخلاقية وشرعية تنظم العلاقة العادلة بين المتنازعين، وتفرض التزامًا مشترك التأثير يقنع الطرفين بعدم التجاوز، ويجعل الجواب مقبولًا لدى العقل والشرع.

4- الحجّة الخبرية (النقلية): في هذه الحجّة يقوم المرسل بالاعتماد على مجموعة من الأحداث التاريخية الواقعيّة المُسلّم بها من مصدر له سلطة معرفية أو دينية، مثل القرآن الكريم أو السنة النبوية أو أخبار الأنبياء والأئمة (عليهم السلام). والتي شهدها مجموعة من الناس أو توارثوها وتحظى باهتمامهم، لارتباطها بخزينهم الفكري والثقافي؛ لتكون دليلًا لما يدعيه مرسل النصّ من طروحات، وليكتسب خطابه سلطة مرجعية معتبرة ينتج عنها التسليم والإذعان ويمنحه المصداقيّة ويكثّف حضور الأفكار، ويزيد من ثبات الحجّة وبيانها (ينظر:الجوزية، 1987: 193).

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) جوابه لمن سأله: أن الناس قد استوحشوا من شقّ جيبه على أبي الحسن الإمام الهادي عليه السلام: "يا أحمَقُ مَا يُدريكَ ما هَذَا، قَد شَقَّ مُوسَى عَلَى هَارُون (عليه السلام)" (الميانجي، 1431هـ: 322/6).

في هذا النص، يواجه الإمام العسكري (عليه السلام) سوء فهم أو استنكارًا من شخص اعتبر تصرّفًا معينًا غير لائق، فكان رد الإمام عليه استنكارًا مضادًا من خلال توبيخه ووصفه بالحمق، ثم استعمل حجة نقلية، فقال: قد شقَّ موسى جيبه على هارون (عليه السلام) بعد وفاته، وهذا إشارة إلى حادثة تاريخية ذكرها الأئمة (عليهم السلام)، فقد سُئل أبوعبد الله (عليه السلام) عن رجل شق ثوبه على أبيه أو على امه أو على اخيه أو على قريب له فقال : "لا بأس بشق الجيوب قد شق موسى بن عمران على أخيه هارون" (الطّوسي، 1417هـ : 325/8). إنّ الوظيفة الحجاجية لهذه الحجة النقلية جاء للتقريب من المثال الأعلى، فالإمام (عليه السلام) يُشبّه الموقف الذي يُستنكر عليه، بموقف وقع بين نبيّين معصومين، هما موسى وهارون، وهذا يرفع التهمة ويبطل الإنكار، ويُظهر الإمام أنّ تصرفه ليس بدعًا من الفعل، بل له سابقٌ في التاريخ المقدّس، وبالتالي يُسقط استنكار المخاطَب، مما يُعطي قوله قوةً حجاجية.

5- حجّ النقض: وتسمّى الحجّة المعاكسة، أو الردّ بالنقض، وهي الردّ على دعوى الخصم أو حجّته بإبراز حالة واقعية أو عقلية تنقض أو تبطل صحة تلك الدعوى (ينظر: صولة، 2011: 43)، وهي من الحجج القائمة على بنية منطقية واضحة، إذ يعمل المرسل على "دفع أطروحة ما مبيّنًا أنّها لا تتفق مع الأخرى" (المحمودي، 1968: 53/4).

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) كتابه إلى موسى بن جعفر بن وهب البغدادي: "زَعَمُوا أَنَّهُم يُرِيدُونَ قَتلِي، لِيَقطَعُوا هَذَا النَّسلَ، وَقَد كَذَّبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَولَهُم والحَمدُ للهِ" (الميانجي، 1431هـ: 6/ 271).

في هذا القول الشريف للإمام العسكري (عليه السلام) نجد آلية حجاجية واضحة، تقوم على النقض المنطقي للحجة المقابِلة، وهي حجة خصوم الإمام، وتحمل أبعادًا منطقية وأخرى إيمانية، فالآلية الحجاجية المنطقية المستخدمة هي النقض بالحقيقة الإلهية، إذ عرض الإمام (عليه السلام) دعوى الخصم (زعموا أَنَّهُم يُرِيدُونَ قَتلِي، لِيَقطَعُوا هَذَا النَّسلَ) هنا يستعرض الإمام (عليه السلام) دعوى أعدائه، وهي أنهم إنّما يريدون قتله ليقضوا على النّسل الذي هو امتداد الإمامة الإلهية، وهذه دعوى غرضها سياسي وديني، أي: إذا قُتل الإمام ولم يُخلّف نسلًا، انقطعت الإمامة، ثمّ نقض الدعوى عبر الحجة المنطقية الإيمانية (وقد كذب الله عزّ وجلّ قولهم)،هنا ينتقل الإمام إلى الردّ العقلي الإيماني، الله تعالى كذّب دعواهم، أي أظهر بطلانها، سواء عبر الواقع (وجود ولد له)، أو عبر وعد الله باستمرار الحجة، فالمنطق المستخدم هنا هو منطق الاستحالة الإلهية، إذ وعد الله ببقاء الحجة، فإنّ محاولة قطعه محكوم عليها بالفشل مسبقًا، وادّعاؤهم ساقط أمام الحقيقة الإلهية، وهي آلية حجاجية تقوم على التهكم بعقل الخصم وإثبات الواقع، ففي قول الإمام (زعم) نبرة استهزاء مبطنة، فهو لا يقرر أنهم حقًا يستطيعون فعل ما زعموا، بل يستخدمها لتضعيف حجّتهم وتمييعها، وهي حجة منطقية من زاويتين: الأولى حجّة مضادة تبني الردّ على نقض الغرض الذي زعمه الخصم (قتل الإمام، قطع النسل)، فيثبت الإمام أن النسل لم ينقطع، فكأن الحجة انهارت من أصلها، والثانية هي المرجعية العليا التي استند الإمام إليها، وهي لا تقبل الخطأ (وهي قول الله)، وهي حجّة قاطعة في البيئة الدينية التي يخاطبها.

6- حجّة التمثيل: هي "إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدلّ الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول ويبيّن الجهة الجامعة بينهما" (الكعبي، 2014: 34)، أي هي الاحتجاج على حالة غير معروفة أو متوقعة من خلال تشبيهها بحالة معروفة مشابهة لها، إذ تقوم برسم صورة حسيّة بقصد توضيح الفكرة أو إثباتها أو تعزيزها، وتقريب الحقيقة إلى المخاطب، وتقوم على المقارنة العقلية بين حالتين.

ومن ورودها في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)، كتابه إلى الحسن بن ظريف في قضاء القائم (عليه السلام) "سَأَلْتَ عَنِ القَائِمِ، فَإِذَا قَامَ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ بِعِلْمِهِ كَقَضاءِ دَاوُود (عليه السلام)، لا يَسْأَلُ البَيِّنَةَ" (الميانجي، 1431هـ : 274/6).

في قول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، تتجلّى حجّة التمثيل بوضوح، وهي من الحجج العقلية الحجاجية المهمة، فالإمام العسكري (عليه السلام) شبّه قضاء الإمام القائم (عجل الله فرجه) بقضاء النبي داوود

(عليه السلام)، المعروف بأنه كان يقضي بعلمٍ إلهي لدنيٍّ، لا بالبيّنات الظاهرية وحدها، بل بالحقيقة الواقعية للأمور، فالتمثيل هنا قام على تشبيه فعل القضاء بالعلم الإلهي بين شخصيتين معصومتين، والغرض الحجاجي لهذا التمثيل؛ هو ترسيخ صفة العصمة والعلم اللدنّي للقائم المنتظر (عليه السلام)، وإقناع السائل والمتلقي بأن القضاء في زمانه سيكون منزّهًا عن الخطأ والتقدير الظنّي، لأنّه سيكون كقضاء نبيّ الله داوود (عليه السلام). من خلال تمثيل حال القائم (عليه السلام) بحال داوود (عليه السلام)، وهو مما تقبله العقول والقلوب، وتعزيز المصداقية؛ لأن قضاء داوود (عليه السلام) منصوص عليه في القرآن، فهو حجّة شرعية وعقلية، والتمثيل به يعزز مقام الإمام، ويقنع السائل بكون قضائه إلهيًّا لا بشريًا اجتهاديًا، وإلغاء الاعتراضات، فحين يُقال: (يقضي بلا بيّنة) قد يُستنكر ذلك، لكن حين يُقال: (كقضاء داوود)، تُرفع الشبهة لأن داوود كان نبيًا مؤيدًا بالوحي.

الخاتمة: بعد

أن ختم البحث صفحته الأخيرة، توصّل إلى النتائج التالية:

1- الحجاج في كلام الإمام العسكري (عليه السلام) أدّى دور الإقناع من خلال توظيف جميع الآليات الحجاجية؛ لتعزيز حججه و تقويتها، ولأن تلك الآليات لها أثر فاعل في إيضاح الدلالة، وتصويرها بشكل حسّي، يكون أقرب إلى النفوس والأذهان وبذلك تتحقق الغاية المرجوّة والمبتغاة من الحجاج. 2- بيّن الحجاج القدرة الخطابية والحجاجية لدى الإمام (عليه وسلم) إذ تنبع من معرفته ودرايته بأبعاد السياق الحجاجي والنفسي للمتلقين، مما جعله يتمكن من إقناعهم والتأثير فيهم.

3- امتاز أسلوب الإمام العسكري (عليه السلام) بالبراعة اللغوية في حجاجه من خلال استخدام الشواهد القرآنية والنبوية وروايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لتدعيم حججه وإقناع المتلقي.

4- لم يقتصر الإمام العسكري (عليه السلام)في حجاجه على غاية محددة، وانما جاءت حججه لغايات كثيرة فتارة تكون سياسية قصده منها إثبات منزلته من رسول الله وأحقيته بالخلافة، وتارة تكون أخلاقية الغاية منها الوعظ والإرشاد، وأخرى فقهية لإثبات حكم فقهي، وأخرى عقائدية.

5- ساعدت العوامل الحجاجية في كلام الإمام العسكري (عليه السلام)المتلقي في الكشف عن معنى النصّ؛ لما لها من فاعلية في عملية التوجيه الحجاجي.

6- قامت الروابط الحجاجية بالإسهام في عملية انسجام وترابط كلام وخطاب الإمام العسكري (عليه السلام) مما أدّى الى الإقناع ومن ثم التسليم والإذعان.

7- تعد الآليات المنطقية وشبه المنطقيّة وسيلة ناجحة لتحقق فائدة إقناعيّة، خاصة حين اعتمدت على بعض المقدمات التي قُدمت بطريقة منطقية، مع براعة استخدام الحجج والاستنتاجات، مما عكس عناية الإمام العسكري (عليه السلام) واهتمامه بأهمية المخاطب في عملية الإقناع.

8- اعتمد الإمام العسكري (عليه السلام) على الآليات البيانية؛ لأنها وسيلة حجاجية تؤثر في المتلقين من جهات عدّة، إذ تنقل العقل من حالته التصويرية العادية، الى حالة تصديقية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمّدٍ وآل بيته الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- بدر الدين الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي. (1992). الجني الداني في حروف المعاني. (فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاض، المحررون) بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن قيّم الجوزية. (1987). الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان. بيروت: دار مكتبة الهلال.
- ابن هشام الأنصاري. (1940). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. (عبد اللطيف محمد الخطيب، المحرر) الكويت.
- ابتسام بن خراف. الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة(لابن قتيبة) دراسة تداولية(أطروحة دكتوراه). جامعة باتنة، الجزائر.
- أبو الوليد الباجي. (2000). المنهاج في ترتيب الحجاج. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- أبو بكر العزاوي. (2004). اللغة والحجاج. المغرب: الدار البيضاء.
- أبو هلال العسكري. (1973). الفروق اللغوية (المجلد 1). بيروت: دار الآفاق الجديد.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. (1994). المقتضب. (محمد عبد الخالق عضيمة، المحرر) القاهرة.
- أبو جعفر بن محمد بن الحسن بن علي الطّوسي. (1417هـ). تهذيب الأحكام في شرح المقنعة. طهران: مكتبة الصدوق.
- احمد بن زكريا. (1979). معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. دار الفكر.
- أحمد بن عبد نور المالقي. (2002). رصف المباني. (أحمد محمد الفراط، المحرر) دمشق: دار العلم.
- الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (د.ت). الإتقان في علوم القرآن. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (د.ت). كتاب العين (المجلد 1). (مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، المحررون) دار مكتبة الهلال.
- السيد أحمد الهاشمي. (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. صيدا، لبنان: المكتبة العصرية.
- الشريف الجرجاني. (1983). كتاب التعريفات. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- العباس أحمد، و صغير فاطمة الزهراء. (2023). آليات الحجاج (الحجج شبه المنطقية في ديوان البحتري)، مجلة الآداب، 23(1).
- العلامة المجلسي. (1403هـ). بحار الأنوار. بيروت: مؤسسة الوفاء.
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (د.ت). لسان العرب (المجلد 3). بيروت، لبنان: دار صادر.
- جميل حمداوي. (2014). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. المغرب: أفريقيا الشرق.
- حازم القرطاجني. (1966). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. (محمد الحبيب ابن الخوجة، المحرر) تونس: دار الكتب الشرقية.
- حسين بوبلوطة. الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة (رسالة ماجستير). كلية الآداب، الجزائر.
- حمو النقاري. (2006). التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، النجاح الجديد.
- رائد حاكم الكعبي. (آذار، 2014). بلاغة الإقناع، قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين(عليه السلام)، م3 ع1.
- زينب جاسم فرحان. (2003). الهبات الربانية في القرآن الكريم دراسة حجاجية (رسالة ماجستير). العراق: جامعة كربلاء.
- شاييم بيرلمان، و لوسي أوبخرت تيتكا. (2023). المصنف في الحجاج الخطابة الجديدة، ، و12. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- شكري المبخوت. (1998). الحجاج في اللغة. تأليف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب بمنوبة.
- شكري المبخوت. (2007). إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية. تونس: مركز النشر الجامعي،كلية الآداب والفنون،جامعة منوبة.
- صابر الحبابشة. (2008). التداولية والحجاج مداخل ونصوص. صفحات للدراسات والنشر.
- طه عبد. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البضاء: المركز الثقافي الإنمائي.
- طه عبد الرحمن. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البضاء،بيروت: المركز الثقافي العربي.
- عباس حشاني. (2013). مصطلح الحجاج بواعثة وتقنياته (بحث). مجلة المخبر(9).
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. (د.ت). مقدمة ابن خلدون. (درويش الجويدي، المحرر)
- عبد الله صولة. (2011). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلياني للنشر.
- عبد الله صولة. (د.ت). الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته. تأليف كتاب أهم نظريات الحجاج.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. بنغازي، ليبيا: دار الكتي الوطنية.
- عثمان بن قنبر سيبويه. (1988). الكتاب. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- عز الدين الناجح. (2011). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقص، تونس: مكتبة علا الدين.
- عز الدين علي مختار علي. (2011). أسلوب النفي أدواته ودلالاته. (مجلة كلية الآداب).
- علي الأحمدي الميانجي. (1431هـ). مكاتيب الأئمة، مكاتيب الإمام علي الهادي (عليه السلام) ومكاتيب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام). (مجتبى الفرجي، المحرر) قم: دار الحديث للطباعة والنشر.
- علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور. (1972). المقرب. (أحمد عبد الستار الجواري، و عبدالله الجبوري، المحررون)
- عمر بلخير. معامل لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين (1989- 2000م)(أطروحة دكتوراه). جامعة الجزائر. الجزائر.
- فاضل صالح السامرائي. (د.ت). معاني النحو. القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب.
- أبو الحسن الرماني. (1973). معاني الحروف. (عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المحرر) القاهرة.
- مثنى كاظم صادق. (2013). اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية. بيروت، لبنان: منشورات ضفاف.
- مجمع اللغة العربية. (1983). المعجم الفلسفي. القاهرة، مصر.
- محمد الدمياطي الشافعي الخضري. (1940). حاشية الخضري على شرح ابن عقيل. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- محمد العمري. (1990). الخطاب الحجاجي دراسة في أسس الإقناع والحجاج. المغرب: دار توبقال.

- محمد العمري. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول أنموذجًا. المغرب: أفريقيا الشرق.
- محمد باقر المحمودي. (1968). نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة. النجف: د.ط.
- محمد بن يعقوب الكليني. (1401هـ). الكافي. (علي أكبر غفاري، المحرر) بيروت: دار صعب ودار المعارف.
محمد حسن الشريف. (1996). معجم حروف المعاني في القرآن الكريم . بيروت: مؤسسة الرسالة.
- محمد حماسة عبد اللطيف. (2003). بناء الجملة العربية. القاهرة، مصر: دار غريب.
- محمد سالم الأمين الطلبة. (2008). الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد.
- محمد سالم ولد محمد الأمين. (مارس، 2000). مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة.
- محمد مشبال. (2017). في بلاغة الحجاج : نحو مقاربة بلاغة حجاجية لتحليل الخطابات. القاهرة: دار رؤية.
- مهدي المخزومي. (د.ت). في النحو العربي نقد وتوجيه. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- موفق الدين ابن يعيش. (د.ت). شرح المفصّل. (مشيخة الأزهر، المحرر) إدارة المطبعة المنيرية.
- مؤيد آل صوينت. (نيسان، 2011). الحجاج التقنيات والتصورات.
- نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي. (د.ت). جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة. الاسكندرية، مصر: منشأت المعارف.

المستخلص باللغة الانكليزية

:Abstract
Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the most honorable of His creation, the Messenger sent as a mercy to the worlds, Muhammad and his pure family. Now then, argumentative discourse is one of the most prominent methods of persuasion and communication. It has received significant attention in modern rhetorical and linguistic studies, as it is a tool for directing and influencing the recipient. This art is beautifully manifested in the sermons and sayings of the Prophet's family (peace be upon them), including Imam al-Hasan al-Askari (peace be upon him), who inherited from his forefathers a rich heritage of doctrinal and intellectual content in which he employed argumentative techniques as a means of persuasion and refutation. Since specialized studies on the arguments of Imam al-Askari (peace be upon him) are few, I decided to address this topic through research and analysis, investigating the argumentative mechanisms that the Imam (peace be upon him) used in his oral and written texts, especially in his correspondence and dialogues, relying on the descriptive and analytical method based on textual induction and the connection between rhetorical data and argumentative.